

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله المنزه عما يخطر بالبال، أو يتوهم في الفكر والخيال، المحتجب برداء العز والجلال، تحيرت العقول في حقيقة ذاته، وتخبطت الأفهام في أسمائه وصفاته، واندهشت الأبصار في جلاله وجماله، وتاهت العبارات في فهم قدره وقضائه . خلق كل شيء بقدر، وأمرنا بالسعي ولكن على حذر، وأن لا نلتفت إلى الجبر فنعيش بين الحفر، ولا إلى القدرية فتأتينا رياح أخر، بل نتمسك بالعقيدة الوسطية فما يصيبنا خور، إذ قالوا بأفعال العباد مسطرة في الزبر، وما أمر الله إلا واحدة كلمح بالبصر، فمن دام على ذلك فله جنات ونهر، ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْنَدٍ ﴾^(١)، ومن خالف فليس له إلا اللهب المستعر، ويصلى ناراً لا تبقي ولا تذر، وهي كما وصفها ربنا ﴿ لَوَاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴾^(٢)، يقف عليها من الملائكة تسعة عشر، وهو والله في حياته ومماته على خطر، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير البشر، سلم عليه الشجر والحجر والمدر، جاء إلى العوالم كافة فأنذر وبشر، ووضح العقيدة الصحيحة في القضاء والقدر، فقال ﷺ :

[قَدَّرَ اللَّهُ الْمَقَادِيرَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ .]^(٣)

فعلّمنا ﷺ أن الله جل ثناؤه قدر المقادير كلها قبل أن يخلق السموات والأرض قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا شَيْءٌ خَلَقْتَهُ بِقَدْرِ ﴾^(١) فخلق أفعال العباد كلها، قال تَعَالَى: ﴿

١ - سورة القمر الآية : ٥٥

٢ - سورة المدثر الآية : ٢٩

٣ - سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي (ت ٢٧٩هـ) ، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي - بيروت، رقم الحديث: ٢١٥٦، ج ٤ /ص ٤٥٨ ، قال أبو عيسى هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ ،

مسند الإمام أحمد بن حنبل : أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، مؤسسة قرطبة - مصر ، رقم الحديث : ٦٥٧٩، ج ٢/ص ١٦٩

وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾^(٢) وأخبر أن كل شيء خلقه إنما هو بحسب ما قضاه قبل أن يخلقه، فجرى الخلق على ما قضى، وجرى القضاء على ما علم، ثم جاء القدر تنفيذاً لذلك القضاء، فلا راد لقضائه، ولا مرد لحكمه، وتلقى الصحابة رضي الله عنهم هذا العلم بقبول حسن، إلا أن الفلسفات اليونانية والهندية وعقائد اليهود والنصارى المحرفة انتقلت إلى بلاد المسلمين، وظهرت بدعة القدرية في البصرة ودمشق، فذهبت إلى أن فعل العبد من قبل نفسه، وأنكرت القدر وعلم الله فيه، وذهبت الجبرية إلى نقيض ذلك فقالت إن فعل العبد من خلق الله ﷻ، وما للإنسان إلا مسير في فعله، وكأنه قطعة على رقعة الشطرنج ليس له من أمره شيء، ثم اختلفت الفرق وتشعبت في فهمها لهذا الموضوع، وفرقت المعتزلة بين الخير والشر، فنسبت إلى الله الخير ونفت عنه خلق الشر، وتوسط أهل السنة بتوفيق من الله ﷻ في فهم هذا الموضوع الشائك وظهرت ملامح الوسطية فيه، وسلمت من الإفراط والتفريط، ووجدت في القرآن الكريم والسنة المطهرة مادة ضخمة ترشد العقل السوي أن يجول فيها ويبين الرأي الواضح، فمنهم من قال أصل الفعل من خلق الله ﷻ وللعبد قدرة غير مؤثرة في المقدور، ومنهم من اثبت أن لها تأثيراً يسمى كسباً، زيادة في الأدب مع الله ﷻ .

أسباب اختيار الموضوع

إن معرفة العقيدة السليمة ضرورة من ضرورات هذا الدين حتى يستقيم المنهج ، لاسيما ونحن في هذا الوقت العصيب الذي نرى فيه اختلافات كثيرة ، والكل يدعي أنه على الحق ، وإنما هذا الخلاف الهائل حصل لوجود هذا البنيان الركيك الذي بُني على ما ينحرف بسيل الأهواء ، وينقلع من أصله لأنه هارٍ ساقط . وجرف العقيدة إذا سقط انهار صاحبه في نار جهنم ، وكل شيء يمكن إصلاحه إلا الأساس في

^١ - سورة القمر الآية: ٤٩

^٢ - سورة الصافات الآية : ٩٦

البنيان وهو الاعتقاد ، لذا رأيت أن أكتب في وسطية الاعتقاد لمسألة القضاء والقدر حتى يسلم الاعتقاد وينصلح البنيان .

منهجية البحث :

كان منهجي في هذا البحث منهجاً عقائدياً تحليلياً وصفيّاً استقرائياً^(١) ، حاولت أن أجمع فيه الآيات التي تتحدث عن العقيدة من حيث المنطوق وفحوى الخطاب، وذلك بالرجوع إلى التفاسير المعتمدة القديمة لأصالتها ، والتفاسير الحديثة حتى يمتزج المعنى القديم بالمعنى المعاصر، وحاولت أن اجمع المعلومات من الكتب الخاصة بالعقيدة والتي تتحدث عن هذه المسألة فهي الأساس في الموضوع ، وكان منهجي في البحث ما يأتي :

١. جمعت بعض الآيات الخاصة بالعقيدة في القضاء والقدر .
٢. أخذت عدداً من الأحاديث الشريفة الدالة على معاني القضاء والقدر ، لأن السنة المطهرة هي بيان لكتاب الله تعالى ، وفعل الرسول ﷺ يحقق المعنى المراد بالآيات الكريمة .
- ٣ . نسخت ما كتبه العلماء والمفسرون وأصحاب السنن وغيرهم ما يتضمن هذا المعنى، ثم قرأتها عدة مرات، وحاولت استخراج الفكرة المتفق عليها، وأن أجعل لها أولوية في الكتابة، ثم عرجت على المسائل التي اختلفوا فيها، فأهملت قسماً منها لعدم ثبوت أدلة الخلاف، أو لعدم جدوى ذكرها لاسيما وان موضوع العقيدة ينبغي الاعتماد فيه على الأحاديث المتواترة والصحيحة، والآثار الموثقة، وكتبت ما هو نافع للموضوع في نظري .

- ٤ . قمت بتحليل عدد من العبارات القرآنية وما يستنتج منها والفائدة الحاصلة جراءها، وحاولت ربط الماضي بالحاضر حتى يخرج البحث حاملاً آثار القدماء ممزوجةً بصبغة المعاصرين، فالحاضر هو غرس الماضي، والمستقبل جني الحاضر .

^١ - ينظر أصول البحث وتحقيق النصوص في العلوم الشرعية، للأستاذ الدكتور محي هلال السرحان (أنواع البحوث وأقسامها)، بغداد، سنة الطبع ١٤٢١: ١٤ هـ - ٢٠٠٠م، ص ٨.

٥. قمت بتخريج الأحاديث الواردة في نصوص كتب الحديث والسنن وغيرها، وترجمت لعدد من العلماء والمفكرين حين يرد ذكرهم في نصوص الكتب المعتمدة كذلك، وما وجدته واهياً أو ضعيفاً أهملته مع العبارة المتعلقة به ليكمل الموضوع توثيقاً ، ويزداد جودةً وبهاءً .

٦ . كما حاولت إبداء رأيي في عدد من المسائل التي تطرق لها العلماء، وإن وجدت وجه ترجيح حاولت إبداء رأيي في الترجيح، فإن أصبت فذلك جهد وفقني الله إليه، وإن أخطأت فإنما هو من نفسي . هذا ، وأسأل الله تعالى أن يسدد خطانا، وأن يجعل هذا العمل نافعاً لنا في ديننا ودنيانا ، وأن يكون في ميزان آخرتنا، وشعاري في ذلك قول الشاعر^(١) :

[وما من كاتب إلا ستبقى كتابته، وإن فنيت يده

فلا تكتب بخطك غير شيء يسرك في القيامة أن تراه]

وكانت خطة البحث الآتي :

المقدمة

المبحث الأول : التعريفات اللغوية والاصطلاحية للوسطية والقضاء والقدر، وذكرت العلاقة بين القضاء والقدر واختلاف العلماء بمن يسبق الآخر.

المبحث الثاني : آراء الفرق في القضاء والقدر، واستعرضت فيه آراء أهل الكتاب، والفلاسفة، والعرب المشركين قبل الإسلام، ثم آراء الفرق الإسلامية؛ الجبرية، القدرية، المعتزلة، الشيعة، ثم أهل السنة؛ الأشاعرة، السلفية، الماتريدية، وانتخبت الرأي الوسط وهو ما اتفقت عليه أهل السنة والجماعة.

المبحث الثالث : استعرضت فيه مراتب القدر وأركانه، ثم تطرقت إلى آراء خاطئة ورد عليها ثم رأيت أن الاعتقاد الوسط يكمن في آراء العلماء من أهل السنة في القدر، ثم أنهيت البحث بسؤال هل يكون للمقدور فاعلان ؟ وبالإجابة نفهم كيف

^١ - محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني، تحقيق: عمر الطباع، دار القلم - بيروت - ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، (١ / ١٣١)

تكون العلاقة بين قدرة الله ﷻ القديمة وبين قدرة المخلوق الحادثة وكيف تتمثل أفعال العباد.

المبحث الرابع : إمكان تغير القضاء والقدر وهل أن القضاء عرضة للتغيير أم هو ثابت لا يتغير وهذا الموضوع يشمل كل ما هو مقدر من سعادة وشقاوة وغنى وفقر وحياة وموت وغيرها، وهل أن التغيير في العلم الأزلي أم في اللوح المحفوظ أم في الأوامر المسلمة إلى الملائكة لأجل التنفيذ.

وخاتمته كانت مسكاً فقد تضمنت ما توصلنا إليه من النتائج والفوائد المرجوة في الفهم الصحيح لهذه المسألة فتوجت الموضوع جمالاً وبهاءً .

ولقد اعتمدت على مصادر غنية بالمفاهيم الإعتقادية وعلى بعض كتب التفسير والحديث، والأسفار المقدسة لأهل الكتاب، وأخذت أبحث وادقق وانتخب المعلومة النافعة، وكنت كلما سئمت نفسي اذكرها بقول الرسول ﷺ (إن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع)^(١) ، وإنه جهاد الفكر والقلم ، فكتبت الشيء الكثير . وعندما أردت جمع ما كتبت رأيت أن المادة التي كتبتها تقع في مساحة واسعة ، وقد تحدث سئماً للقارئ فأهملت بعضاً منها تحاشياً للإطالة ، وحيث أن في ذلك الحذف لا يحدث خللاً في الموضوع وكذلك وقعت مشاكل في الطبع تغلبنا عليها حتى ظهر بهذا الشكل والحمد لله رب العالمين . وأسأل الله ﷻ أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به الإسلام المسلمين إنه على كل شيء قدير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المبحث الأول - التعريفات

المطلب الأول - التعريفات اللغوية

أولاً : الوسطية لغة:

^١ - المستدرك على الصحيحين ، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ)، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م، رقم الحديث: ٣٤١ ، قال الحاكم : إسناده صحيح، (١/١٨٠) .

(الوَسَطُ بالتحريك اسم لما بين طرفي الشيء وهو منه كقولك قبضت وَسَطَ الحبل وكسرت وَسَطَ الرمح وجلست وسط الدار .
والوسط قد يأتي صفة وإن كان أصله أن يكون اسماً من جهة أن أوسط الشيء أفضله وخياره كوسط المرعى خير)^(١)
أما (الْوَسْطُ بسكون السين فهو ظرف لا إسم، جاء على وزن نظيره في المعنى وهو : {بين}؛ تقول جلست وَسَطَ القوم أي بينهم.)^(٢)
(والفَرْقُ بين الوَسْطِ والْوَسَطِ أن ما كان يَبِينُ جُزءاً من جزء فهو وَسَطٌ مِثْلُ الحَلْقَةِ من الناس والسُّبْحَةِ والعِفْدِ، قال وما كان مُصَمِّتاً لا يَبِينُ جزءً من جزء فهو وَسَطٌ مِثْلُ وَسَطِ الدار والراحَةِ والبُقْعَةِ.)^(٣)

ثانياً : القضاء لغة :

(هو الحكم والصنع ، والختم والبيان ، وأصله القطع والفصل وقضاء الشيء إحكامه وإمضاؤه والفراغ منه فيكون بمعنى الخلق .)^(٤)
(القضاء : الحكم، وأصله قضاي لأنه من قضيت إلا أن قضى، الياء لما جاءت بعد الألف همزت، والجمع الأفضية والقضية مثله، والجمع القضايا على فعالي، وأصله فعائل، وفي صلح الحديبية: هذا ما قاضى عليه محمد ﷺ هو فاعل من القضاء: الفصل والحكم، لأنه كان بينه وبين أهل مكة .)^(٥)
والقضاء في لغة العرب التي بها خاطبنا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم أنه الحكم، ولذلك يقولون القاضي بمعنى الحاكم، وقضى الله عز وجل بكذا أي حكم

^١ - لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري (ت ٧١١هـ) ، صادر بيروت - مادة وسط - ج٧/ص ٢٧ ٤
^٢ - المصدر السابق - مادة وسط - ج٧/ص ٢٨ ٤
^٣ - تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي - بيروت - ٢٠٠١م، الطبعة: الأولى ، ج١٣/ص ٢١
^٤ - معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس أبي الحسين بن فارس (٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية ، كتاب القاف، باب القاف والضاد ، ح ٥ /ص ٩٩
^٥ - لسان العرب، ج١٥/ص ١٨٦ ، مادة قضي

به، ويكون أيضا بمعنى: الأمر، قال تعالى ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ
وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ (١) معناه بلا خلاف أنه تعالى أمر أن لا تعبدوا إلا إياه،
ويكون أيضا بمعنى أخبر قال تعالى: ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَتُولَاءِ مَقْطُوعٌ
مُّصْبِحِينَ ﴾ (٦٦) (٢) بمعنى أخبرناه أن دابرههم مقطوع بالصباح، ويكون أيضا بمعنى
أراد وهو قريب من معنى حكم قال تعالى: ﴿ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا
فَأَنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٤٧) (٣) ومعنى ذلك حكم بكونه

ثالثا : القدر لغة :

(القدر : الحكم، وهو ما يقدره الله عز وجل من القضاء ويحكم به من الأمور،
قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ (٤) أي الحكم، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ
أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ (٥) (٦)

(والقدر : قدر الشيء مبلغه، وهو بسكون الدال وفتحها، القدر أيضا ما يقدره
الله من القضاء، ويقال مالي عليه مقدرة بكسر الدال وفتحها أي قدرة، ورجل ذو
مقدرة بالضم أي ذو يسار، وأما من القضاء والقدر فالمقدرة بالفتح لا غير (٧) ،
ومعنى القدر في اللغة العربية الترتيب والحد الذي ينتهي إليه الشيء تقول قدرت
البناء تقديرا إذا رتبته وحددته، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً
لِلنَّاسِ لِيلِينَ ﴾ (٨) بمعنى رتب أقواتها وحددها (١)

١ - سورة الإسراء الآية : ٢٣

٢ - سورة الحجر الآية : ٦٦

٣ - سورة آل عمران الآية : ٤٧

٤ - سورة القدر الآية : ١

٥ - سورة الدخان الآية : ٤

٦ - لسان العرب ، مادة قدر ج ٥ /ص ٧٤

٧ - مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، (ت : ٧٢١ هـ) ، تحقيق : محمود
خاطر، طبعة جديدة، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت ، سنة الطبع : ١٥ ١٤ هـ - ١٩٩٥ م ، مادة

- ق د ر - ج ١ /ص ٢١٩

٨ - سورة فصلت الآية : ١٠

المطلب الثاني - التعريفات الاصطلاحية

أولاً : الوسطية اصطلاحاً:

(الوسط : العدل، وذلك معنى الخيار، لأن الخيار من الناس عدولهم .) (٢)
والأوسط من القوم هو خيارهم (وقيل في صفة النبي ﷺ أنه كان من أوسط قومه أي من خيارهم والعرب تصف الفاضل النسب بأنه من أوسط قومه) (٣)
(وقيل للخيار وسط، لأن الأطراف يتسارع إليها الخلل والأعوار، والأوساط محمية محوطة.) (٤)

ثانياً : القضاء اصطلاحاً:

(القضاء لغة : الحكم وفي الاصطلاح عبارة عن الحكم الكلي الإلهي في أعيان الموجودات على ما هي عليه من الأحوال الجارية في الأزل إلى الأبد.) (٥)
(والقضاء : وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ مجتمعة.) (٦)
وعرفه عضد الدين الأيجي : (القضاء : هو إرادته ﷻ الأزلية المتعلقة بالأشياء على ما هي عليه فيما لا يزال .) (٧)

ثالثاً : القدر اصطلاحاً:

١ - ينظر الفصل في الممل والأهواء والنحل، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد (ت ٥٤٨ هـ)، مكتبة الخانجي - القاهرة ٣/٣١
٢ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الشيخ محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، (ت ٣١٠ هـ)، دار الفكر للنشر - بيروت سنة: ١٤٠٥ هـ. ج ٢/ص ٧
٣ - تهذيب اللغة ج ١٣/ص ٢١
٤ - الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ج ١/ص ٢٢٤
٥ - التعريفات باب القاف ج ١/ص ٢٢٥
٦ - التعريفات: علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت ٨١٦ هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٥، الطبعة: الأولى، ٢٢٠/١
٧ - كتاب المواقف، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي (ت ٧٥٦ هـ)، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل - لبنان - بيروت - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، الطبعة: الأولى، ج ٣/ص ٢٦١

(القدر : هو تعلق الإرادة الذاتية بالأشياء في أوقاتها الخاصة، فتعلق كل حال من أحوال الأعيان بزمان معين وسبب معين عبارة عن القدر.)^(١)

المطلب الثالث - العلاقة بين القضاء والقدر:

ذهب العلماء في العلاقة بين القضاء والقدر إلى ثلاثة أقوال:

القول الأول : القضاء هو الحكم والقدر هو التنفيذ
قال علي الجرجاني (رحمه الله): (القضاء في الأزل، والقدر فيما لا يزال، والفرق بين القضاء والقدر؛ هو أن القضاء وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ مجتمعة، والقدر وجودها متفرقة في الأعيان بعد حصول شرائطها.)^(٢)

وقال بدر الدين العيني (رحمه الله): (القضاء هو الحكم بالكليات على سبيل الإجمال في الأزل، والقدر هو الحكم بوقوع الجزئيات التي لتلك الكليات على سبيل التفصيل في الإنزال قال تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدْرِ مَعْلُومٍ ﴾ (٣) (٤)

القول الثاني : هو بعكس القول الأول أي أن القدر هو التنفيذ والقضاء هو الحكم

قال علي القاري (رحمه الله) : (المراد بالقدر التقدير وبالقضاء الخلق لقوله تعالى : ﴿ فَفَضَّلْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنًا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ ﴾

^١ - التعريفات ج ١/ص ٢٢٠

وينظر كذلك التعاريف لتوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، (ت ١٠٣١ هـ)، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر - بيروت، دمشق - ١٤١٠، الطبعة: الأولى، ٥٧٥ / ١

^٢ - التعريفات ج ١/ص ٢٢٠

^٣ - سورة الحجر الآية : ٢١

^٤ - عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي - بيروت ج ٢٢/ص ٣٠٤

وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ (١) فالقضاء والقدر متلازمان لأن أحدهما وهو القدر بمنزلة الأساس والآخر وهو القضاء بمنزلة البناء. (٢)

القول الثالث : وفصل الشيخ جمال الدين بن أحمد صاحب كتاب أصول الدين تفصيلاً يوضح هذه العلاقة وأضاف إليهما مفهوماً آخر وهو الحكم فقال : (القدر سر والقضاء ظهور السر على اللوح، والحكم نزوله على العبد، فالحكم يقتضي التسليم، والقضاء يقتضي الرضا، والقدر يقتضي التفويض، والقدر في علم الله عز وجل لا في وجه اللوح، والقضاء: الاطلاع، وإذا اطلع اللوح عليه سمي قضاء، وإذا وصل إلى العبد سمي حكماً، والقدر مقدر في علمه (عَلَيْكَ) الذي علم وصوله إلى العبد إن شاء، والقدر صفته، والمقدور ملكه، والقدر ليس بمحدود ولا معدود، والمقدور محدود ومعدود كذلك القضاء، والمقضي والحكم والمحكوم والقدر صفة ربوبيته من غير ابتداء تصويبا من الله عز وجل، والقضاء إلزام ما صوبه، والحكم تعليق ما ألزمه على العبد. (٣)

الترجيح:

مما تقدم نجد أن هنالك علاقة وطيدة بين القضاء والقدر، والذي أراه راجحاً هو الرأي الأول، فالقضاء هو المخطط الذي رسمه رب العزة (عَلَيْكَ) في عالم الغيب، وأن أفعال الخلق كلها مقدره الله (عَلَيْكَ) مكتوبة له، وأن الله (عَلَيْكَ) لم يزل عالماً بما كان ولا يزال عالماً بما يكون، قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (٤)، وقال (عَلَيْكَ) ﴿

١ - سورة فصلت: الآية ١٢

٢ - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد القاري، تحقيق: جمال عيتاني، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، الطبعة: الأولى، ج ١/ص ٢٥٧

٣ - كتاب أصول الدين، جمال الدين أحمد بن محمد بن محمود بن سعيد، (ت: ٥٩٣ هـ)، تحقيق: عمر وفيق الداغوق، رقم الطبعة: الأولى، دار البشائر الإسلامية، مدينة النشر: بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨، ١/١٨٢-١٨٣

٤ - سورة الملك الآية: ١٤

فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ (١)

لذا فالقضاء كتقدير النقاش للصورة في ذهنه، والقدر كرسمة تلك الصورة للتلميذ ويقوم التلميذ بوضع الصبغ عليها متبعاً لرسم الأستاذ هو ما نسميه (الكسب والاختيار)، والتلميذ في اختياره لا يخرج عن رسم الأستاذ، كذلك العبد في اختياره لا يمكنه الخروج عن القضاء والقدر .

ونحن نقول قضاء وقدر ولا نقول قدر وقضاء، وهكذا وردت في الآثار وعلى السنة العلماء، لذا يكون تقديم القضاء على القدر تقديم لفضي ورتبي، ففضى بما علم أنه سيكون وكتب ما علم، وقدر بناءً على المخطط الذي علمه ورسمه (أي ما قضاه أولاً)، وأن حروف العطف هنا لا تعني التعاقب الزمني؛ لأن الله ﷻ لا يحكمه زمن إنما هو لتوضيح الصورة، فأخبر أن كل شيء خلقه إنما هو بحسب ما قضاه قبل أن يخلقه، فجرى الخلق على ما قضى، وجرى القدر على ما علم؛ كتب فمضى الخلق على كتابه وعلمه، ولا راد لقضائه، ولا مرد لحكمه، ولا تبديل لخلقه، ولا حول ولا قوة إلا به.

المبحث الثاني

آراء الفرق في القضاء والقدر

كانت ولا تزال قضية القضاء والقدر، أو الجبر والاختيار، مسألة مستعصية قبل وبعد الإسلام، وقد لازمت كل جماعة لها عقيدة دينية، وهي من المسائل التي أعيت العقول وحيرت الألباب، وإذا أردنا أن نقف فيها موقفاً وسطاً علينا أن ندرس المسألة على مدار التاريخ فنفهم ما قاله أهل الكتاب في هذا الجانب، ثم نخرج على آراء الفلاسفة، ثم ندرس ما قاله العرب قبل الإسلام، ثم نرى آراء علماء المسلمين حتى نصل إلى قناعة عقلية لهذه المسألة، وندرك الفهم الوسط لهذا المعتقد.

المطلب الأول - آراء أهل الكتاب في القضاء والقدر:

أ . كان الأمر في الفكر الديني اليهودي متذبذباً بين الجبر والاختيار، فمالت (فرقة القرآنيين)^(١) إلى الجبر في مسائل القضاء والقدر، ومالت بقية الفرق من اليهود إلى الاختيار، والمتطلع إلى أسفارهم يجد أنهم ينكرون علم الله بالغيب، فقد جاء في سفر التكوين حسب زعمهم : (أن الله لا يعلم الغيب ويحتاج علامات يميز بها بني إسرائيل من غيرهم، فوضع الدم علامة على بيوت بني إسرائيل ليميزها عن بيوت المصريين حتى لا يهلكهم).^(٢) ، ومما هو معلوم أن من أنكر علم الله ﷻ بالغيب فإن ذلك يؤدي إلى القول بأن الله لا يعلم ما يقع من الخلق من الأفعال.

ب . أما المسيحية الشرقية؛ فالنزعة الغالبة على أهلها هي القول بحرية الإرادة الإنسانية^(٣) وميزوا بين الأفعال الاختيارية والأفعال الاضطرارية الجبرية، وأن الإنسان يفعل بإرادته ولا شيء يجبره على الفعل وهم أقرب إلى الصحة من اليهود.

١ - هي فرقة تنسب إلى عنان بن داود الذي أسسها في بابل في القرن الثامن للميلاد، ينظر مفصل العرب واليهود في التاريخ، الدكتور أحمد سوسة، الطبعة الخامسة، بغداد - ١٩٨١، ج. ١/ص ٨٦٥
٢ - الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د. علي عبد الواحد وافي، دار النهضة - مصر - ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م. سفر التكوين، إصحاح (١٢)، فقرة (١٢ - ١٣)
٣ - الجانب الألهي من التفكير الإسلامي، الدكتور محمد البهي، القاهرة ، سنة الطبع - ١٩٦٢، ج. ١/ص ١٠٠.

المطلب الثاني - آراء الفلاسفة

أنكر الفلاسفة علم الله ﷻ بالجزئيات^(١) وقالوا إنه يعلم الأشياء على وجه كلي ثابت^(٢) وقد ضلوا في هذا ضلالاً بعيداً ، ثم دعاهم هذا الاعتقاد أن يقولوا: إن (القضاء عبارة عن علمه بما ينبغي أن يكون عليه الوجود حتى يكون على أحسن النظام وأكمل الانتظام، وهو المسمى عندهم بالعبادة الأزلية التي هي مبدأ لفيضان الموجودات من حيث جملتها على أحسن الوجوه وأكملها، والقدر عبارة عن خروجها إلى الوجود العيني بأسبابها على الوجه الذي تقرر في القضاء .)^(٣)

وكان على رأس الفلاسفة ابن سينا^(٤)، وهو وأتباعه يقولون إن علم الله بالشيء في آئين مختلفين ؛ يفضي إلى تغير العلم لكونه يعلم أن سيكون الشيء ثم يعلم أنه قد كان، وهذا إن أبطله من جهة أنه نقص في العلم فهو باطل، فإن هذا هو علم للشيء على ما هو عليه فإنه علمه معدوماً لما كان موجوداً، وعلم أنه سيوجد ثم لما

١ - ينظر شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، المكتب الإسلامي - بيروت - ١٣٩١، الطبعة: الرابعة ج ١/ص ٣٠٥، وينظر المواقف ج ٣/ص ٢٦١،

وينظر شرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، (ت ٧٩٣هـ)، الطبعة: الأولى، دار المعارف النعمانية - باكستان - ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ج ٢/ص ٩١

٢ - درء تعارض العقل والنقل، تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن، (ت ٧٢٨هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٧ - ١٩٩٧م، ٣٩٧/٩،

٣ - المواقف ج ٣/ص ٢٦٠

٤ - هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن علي بن سينا كان أبوه من أهل بلخ وانتقل منها إلى بخارى في أيام نوح بن منصور واشتغل بالتصوف وتولى العمل في أثناء أيامه بقرية يقال لها خرمة من ضياع بخارى وهي من أمهات القرى وولد فيها سنة خمس وسبعين وثلثمائة وأكمل العشر من العمر وقد أتى على القرآن وعلى كثير من الأدب. وكان عمره ثلاثاً وخمسين سنة وكان موته من القولنج في سنة ثمان وعشرين وأربعمائة وكان قبره تحت السور من جانب القبلة من همدان وقيل إنه نقل إلى أصفهان ودفن في موضع على باب كونكند

ينظر عيون الأنباء في طبقات الأطباء، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي، تحقيق: الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة - بيروت، ج ١:ص

وجد كان علمه موجودا، ثم إذا عدم بعد ذلك علم أن قد كان ثم عدم، فهذا هو العلم المطابق للمعلوم وما سوى ذلك فهو جهل لا علم^(١) وعبارة أخرى فإنهم قالوا إنه تعالى إذا علم مثلا أن زيدا في الدار الآن ثم خرج عنها، فأما أن يزول ذلك العلم ولا يعلم سبحانه أنه في الدار، أو يبقى ذلك العلم بحاله، والأول يوجب التغير في ذاته سبحانه، لأن تغير المعلوم عندهم يؤدي إلى تغيير العلم وهو محال، والثاني يوجب الجهل، وكلاهما نقص يجب تنزيه الله تعالى عنه .

إن فكر الفلاسفة يتركز في إثبات علم الله ﷻ بالأشياء الكلية ويعتني بالمخلوقات على أحسن حال، أما أفعال العباد فليست من الكليات بل هي من الجزئيات، وبالتالي فإن الله لا يعلمها إلا بعد وقوعها ، وهم يقيسون علمه ﷻ بعلم المخلوقات وهذا شطط بعيد، وبذلك أنكروا القضاء والقدر الجاري على البشر .

المطلب الثالث - آراء المشركين قبل الإسلام :

أثبت المشركون من العرب قبل الإسلام المشيئة الألهمية لكنهم احتجوا بهذه المشيئة على شركهم، وقد ذكر القرآن الكريم نماذج من أقوالهم، منها قوله ﷻ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ (٢)

قال الرازي (رحمه الله): (لما حكى الله ﷻ عن أهل الجاهلية إقدامهم على الحكم في دين الله بغير حجة ولا دليل، حكى عنهم عذرهم في كل ما يقدمون عليه من الكفریات فيقولون لو شاء الله منا أن لا نكفر لمنعنا عن هذا الكفر.)^(٣)

١ - ينظر درء التعارض ج ١٠/ص ١٧٨

٢ - سورة الأنعام من الآية : ١٤٨

٣ - التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، الطبعة: الأولى، ج ١٣/ص ١٨٤

وكان العرب في الجاهلية يعرفون القدر ولا ينكرونه، وهذا نجده ثابتاً في أشعارهم، كما في شعر عنزة بن شداد^(١) :
يا عبل أين من المنية مهربي؟
إذا كان ربي في السماء قضاها!^(٢)
فهذا دليل واضح على اعتقادهم بأن أجلهم مكتوب ومحدد الوقت وذلك في السماء، ولا مفر من القضاء المبرم ولا مهرب من القدر المحكم .

المطلب الرابع - آراء المسلمين

أما علماء المسلمين فقد اختلفوا في مسألة القضاء والقدر، وكان سبب هذا الخلاف يتحدد في مسألتين :

الأولى: الربط بين إرادة الله ﷻ الشاملة، وإرادة الإنسان.

الثانية: الربط بين القدرة الإلهية المطلقة، وقدرة الإنسان المحدودة، أي بين قدرة الله ﷻ وأفعال العباد، وهل يمكن أن يكون للفعل فاعلان؟ وهل أن أفعال العباد مخلوقة لله ﷻ أم هي من خلق الإنسان^(٣) ؟ ولنأخذ هذا الخلاف حسب أقوال أصحاب الفرق الكلامية.

أولاً - المعتزلة (٤)

^١ - عنزة بن شداد بن معاوية بن قراد بن مخزوم بن مالك ابن غالب بن قطيعة بن عيس وله شعر كثير
طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، دار المدني - جدة، تحقيق: محمود محمد شاكر،
١٥٢/١

^٢ ديوان عنزة ٧٤/١

^٣ - ينظر مناهج الأدلة في عقائد الملة - ابن رشد، تحقيق د. محمد قاسم ، الطبعة الثانية، ٣٢٢/١
^٤ - المعتزلة : كان يرأسهم واصل بن عطاء وكان يدرس عند الحسن البصري فآظهر مفاصد على ما ذكره فطرده الحسن عن مجلسه واعتزلهم فسموا بالمعتزلة . تشبثوا بأذيال الفلاسفة وجاءوا بعقائد فيها غرابة فأوجبوا على الله ﷻ رعاية الأصلح للعباد وتشددوا في مسألة التوحيد فنفوا صفاته السبع وهي الحياة والإرادة والقدرة والعلم والبقاء والسمع والكلام بقولهم إنها قديمة ويتعدد بها الواجب الواحد ، وقاسوا الغائب على الشاهد . ونفوا قدرة الباري على مثل مقذورات البشر لأنه يلزم توارد المؤثرين إذا اجتمعا . ونفوا كلام الباري واتصافه به قديما وحديثا إلا بخلقه في الأشياء . وأنكروا رزق الناس من الحرام إذا أتاهم من الله تعالى لان خلق الحرام حرام . ونسبوا

كانت أفكار المعتزلة قريبة من آراء الفلاسفة؛ إلا أنهم لم يقولوا إن الله جَلَّالَهُ لا يعلم بالجزئيات، بل أثبتوا علمه بالجزئيات، ووافقهم في إنكار القضاء والقدر في الأفعال الاختيارية الصادرة عن العباد، ويثبتون علمه تعالى بهذه الأفعال ولا يسندون وجودها إلى ذلك العلم بل إلى اختيار العباد وقدرتهم^(١)، وقالوا: إن القدر خيره وشره من العبد^(٢)، وقالوا كذلك: إن جميع الأفعال الاختيارية من جميع الحيوانات لا تعلق لها بخلق الله تعالى^(٣) وبذلك حملت المعتزلة نصوص الإضلال عن الهدى والانحراف عن الرشد حملته على الحقيقة وليس تأويلاً، بل حملاً للفظ على ظاهره، ففي قول الله جَلَّالَهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفٰسِقِينَ﴾^(٤) تدل على أنه تعالى يضلهم، وليس فيها دلالة على أنه عن ماذا يضلهم، فقالوا نحن نحملها على أنه تعالى يضلهم عن طريق الجنة، ثم حملوا كل ما في القرآن من هذا الجنس على هذا المحمل؛ وهو اختيار الجبائي^(٥) وقوله تعالى: ﴿كُنِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ

الخلق والإيجاد للعباد . وعدادوا الأجل . وقالوا المعصية تخرج العبد عن الإيمان إن لم يتب . أوجبوا العقاب على العصاة رعاية لعدالة الله أوجبوا الثواب للمحسنين . وأنكروا الشفاعة لأنها خلاف العدالة . وأنكروا عذاب القبر . وأنكروا الحساب يوم القيامة لان الله عالم بالأعمال . وأنكروا الميزان . وأنكروا الصراط والمرور عليه .

جواهر الكلام في عقائد الإسلام ، الشيخ عبد الكريم المدرس، (ت ٢٠٠٤م)، دار الحرية للنشر ، بغداد ، سنة الطبع : ١٩٩٣م - ١٤١٤ هـ (ص: ١٠ - ١٤) بتصرف .

١ - ينظر شرح المقاصد في علم الكلام ج ٢/ص ٩١

٢ - ينظر الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد(ت ٥٤٨هـ)، مكتبة الخانجي - القاهرة ج ١/ص ٧٥

٣ - ينظر شرح العقيدة الطحاوية ج ١/ص ٤٩٣

٤ - سورة البقرة من الآية: ٢٦

٥ - هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام أبو علي الجبائي البصري شيخ المعتزلة كان رأساً في الفلسفة والكلام أخذ عن يعقوب الشحام البصري وله مقالات مشهورة وتصانيف وتفسير أخذ عنه ابنه أبو هاشم والشيخ أبو الحسن الأشعري ثم أعرض الأشعري عن طريق الاعتزال وتاب منه ومات الجبائي في سنة ثلاث وثلاثمائة.

طبقات المفسرين للداودي ، أحمد بن محمد الأندلسي ، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي ، مكتبة العلوم والحكم - السعودية - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م، الطبعة: الأولى، ج ١: ص ٦٢

فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ، وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾^(١) أي يضلّه عن الجنة وثوابها هذا كله إذا حملنا الهمزة في الإضلال على التعديّة^(٢)

ثانياً . الجبرية

وهم أتباع الجعد بن درهم^(٣) والجهم بن صفوان^(٤) ، وهذه الفرقة تنفي القدرة الإنسانية والاستطاعة، فليس للإنسان قدرة ولا إرادة ولا اختيار، وأن الله ﷻ يخلقها فيه كما يخلقها في الحيوان، وهي كلها اضطرارية كحركات المرتعش، والعروق

١ - سورة الحج من الآية : ٤

٢ - ينظر التفسير الكبير ج ٢/ص ١٣١

٣ - الجعد بن درهم

هو اول من قال بخلق القرآن وهو الذي ينسب اليه مروان الجعدي وهو مروان الحمار اخر خلفاء بني امية كان شيخه الجعد بن درهم اصله من خراسان ويقال انه من موالى بني مروان سكن الجعد دمشق وكانت له بها دار بالقرب من القلايين الى جانب الكنيسة ذكره ابن عساكر وهي محلة من الخواصين اليوم غربيها عند حمام القطنين الذي يقال له حمام قلنيس قال ابن عساكر وغيره وقد اخذ الجعد بدعته عن بيان بن سمعان واخذها بيان عن طالوت ابن اخت لبيد بن اعصم زوج ابنته واخذها لبيد بن اعصم الساحر الذي سحر الرسول صلى الله عليه وسلم عن يهودي باليمن واخذ عن الجعد الجهم بن صفوان الخزري وقيل الترمذي واقام بدمشق حتى اظهر القول بخلق القرآن قنطلبه بنو امية فهرب منهم فسكن الكوفة فلقبه فيها الجهم بن صفوان فنقل هذا القول عنه، وهو مؤدب مروان بن محمد الأموي، أول من ابتدع في هذه الأمة إنكار أن الله اتخذ إبراهيم خليلاً، وأنه كلم موسى تكليماً، وأخذ ذلك عن الجهم بن صفوان الذي تنسب إليه الجهمية، حبسه خالد القسري في خلافة هشام بن عبد الملك ورفع آل الجعد إلى هشام يشكون طول حبس الجعد وقال هشام أهو حي بعد ؟ وكتب إلى خالد في قتله فقتله يوم الأضحى سنة ١٢٤ هـ على الزندقة.

انظر: سير أعلام النبلاء ٤٣٣/٥، والبداية والنهاية ، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء (ت ٧٧٤ هـ) ، مكتبة المعارف - بيروت ٣٥٠/٩

٤ - جهم بن صفوان أبو محرز السمرقندي من موالى بني راسب هلك في زمان صغار التابعين روى شيئاً من الحديث لكنه زرع شراً عظيماً وكان قتله سنة ٢٨ هـ وذلك لخروجه على أمراء خراسان فقبض عليه نصر بن سيار وقال له لو كنت في بطني لشققتها حتى أقتلك .

لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢ هـ)، تحقيق: دائرة المعارف النظامية - الهند - مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - ١٤٠٦ هـ - ٦ - ١٩٨ م ، الطبعة: الثالثة، (٢ / ١٤٢)

النابضة، وحركات الأشجار، ونسبتها إلى الإنسان مجازاً^(١) ويعتقدون أن الإنسان لا حرية له في فعله وهو كالريشة في مهب الريح.

وبالإضافة إلى ما تقدم فقد أضافوا الفعل والانفعال كلاهما إلى الله ﷻ ، وقالوا إن العبد مجبور على أفعاله مقصور عليها، كالسعة يحركها الريح العاصف، وكالهاوي من أعلى إلى أسفل، وأن تكليف الله سبحانه وتعالى عباده من أمرهم بالطاعات ونهيهم عن المعاصي كتكليف الحيوان البهيم بالطيران، وتكليف المقعد بالمشي، وإن تعذيبه إياهم على معصيتهم هو تعذيب لهم على فعله لا على أفعالهم، وإن ذلك كتعذيب الطويل لم يكن قصيرا ! والقصير لم يكن طويلا ! فسلبوا العبد قدرته واختياره، ونفوا عن الله ﷻ حكمته البالغة، وجددوا حجته الدامغة، وأثبتوا عليه تعالى الحجة لعباده، ونسبوه تعالى إلى الظلم، وطعنوا في عدله وشرعه، فلا معنى لإقامة الحدود ولا للثواب والعقاب، ولا داعي لإرسال الرسل ولا لإنزال الكتب، وأن التكليف يكون في غير وسع وتحميل ما لا يطاق، وأنه الظلم الذي حرّمه الله ﷻ على نفسه وجعله بين عباده محرما فأقاموا عذر إبليس اللعين، وعذر فرعون وهامان وقارون ، بل قالوا إنه عاقبهم ومقتهم على طاعتهم إياه؛ لأنهم إن كانوا خالفوا شرعه فقد أطاعوا إرادته ومشيتته ! هذا معنى إثبات القدر عند هذه الفرقة^(٢)

ثالثاً . القدرية

هم أتباع معبد الجهني^(٣) وغيلان الدمشقي^(١) وتتلخص عقيدتهم في القدر أن العبد مستقل بعمله في الإرادة والقدرة وليس لمشيئة الله وقدرته أثر في ذلك، وهم

١ - انظر شرح العقيدة الطحاوية ٤٩٣ / ١

ينظر كذلك الرد على القائلين بوحدة الوجود، العلامة علي بن سلطان القاري، تحقيق: علي رضا بن عبد الله بن علي رضا، دار المأمون للتراث - دمشق - ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، الطبعة: الأولى، ٥٧ / ١

٢ - انظر معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد حكيمي (ت ١٣٧٧ هـ) ، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر ، دار ابن القيم - الدمام - ١٤١٠ - ١٩٩٠ ، الطبعة: الأولى، ٩٤ ٦/٣

٣ - معبد بن عبد الله بن عليم قال عنه الذهبي أنه تابعي صدوق ثقة، سمع الحديث من ابن عباس وابن عمر ومعاوية وعمران بن حصين وغيرهم وشهد يوم التحكيم ، سأله عمرو بن العاص فقال له يا تيس جهنة ما أنت من أهل السر والعلانية وإنه لا ينفكك الحق ولا يضرك الباطل وهذا توسم

خالقون لأفعالهم، ولهذا كانوا مجوس هذه الأمة ، كما أخبر ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : [الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ إِنْ مَرَضُوا فَلَا تَعُودُوهُمْ وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ]^(٢) ، وسبب تسميتهم مجوس هذا الأمة لكونهم جعلوا أفعال العباد مخلوقة بقدرهم، وقولهم هذا يشبه قول المجوس القائلين بأن للعالم الهين خالق الخير وهو (يزدان) وخالق الشر وهو (أهرمن) أي الشيطان وقيل المجوس يقولون الخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة، كذلك القدرية يقولون الخير من الله والشر من الشيطان ومن النفس، والأفعال للفاعلين، فزعموا أن الله تعالى يخلق الخير وأن العبد يخلق الشر؛ جل الله تعالى عن قولهم الباطل^(٣)

فيه من عمرو بن العاص ولهذا كان هو أول من تكلم في القدر ويقال إنه أخذ ذلك عن رجل من النصارى من أهل العراق يقال له سوس وأخذ غيلان القدر من معبد وقد كانت لمعبد عبادة وفيه زهادة ووثقه ابن معين وغيره في حديثه وقال الحسن البصري إياكم ومعبد فإنه ضال مضل وكان ممن خرج مع ابن الأشعث فعاقبه الحجاج عقوبة عظيمة بأنواع العذاب ثم قتله وقال سعيد بن عفير بل صلبه عبد الملك بن مروان في سنة ثمانين بدمشق ثم قتله والله سبحانه وتعالى أعلم.

البداية والنهاية ، ج ٩/ص ٣٤

١ - غيلان الدمشقي : غيلان بن مسلم القبطي الدمشقي، المبشر الحقيقي بمذهب القدرية، كان قبليا قديريا لم يتكلم أحد في القدر قبله ودعا إليه إلا معبد الجهني وكان غيلان يكنى أبا مروان وأخذه هشام بن عبد الملك فصلبه بباب دمشق وكانوا يرون أن ذلك بدعوة عمر بن عبد العزيز عليه، حدثني مهيار الراوي قال سمعت عبد الله بن يزيد الدمشقي يقول سمعت الأوزاعي يقول أول من تكلم في القدر معبد الجهني ثم غيلان بعده .

المعارف : ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم ، تحقيق: دكتور ثروت عكاشة ، دار المعارف - القاهرة ج ١/ص ٤٨٤

٢ - سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، باب القدر، رقم الحديث ٤٦٩٢ ، دار الفكر ، ج ٤/ص ٢٢٢
كذلك المستدرك على الصحيحين، رقم الحديث : ٢٨٦، قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين إن صح سماع أبي حازم من ابن عمر ولم يخرجاه.

قال الذهبي في التلخيص : على شرطهما إن صح لأبي حازم سماع عن ابن عمر رضي الله عنهما ج ١/ص ١٥٩

٣ - ينظر تهذيب الأسماء واللغات، محي الدين بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ) ، دار الفكر - بيروت - ١٩٩٦ ، الطبعة: الأولى، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات ج ٣/ص ٢٦١
وينظر كذلك مرقاة المفاتيح ج ١/ص ٢٨٥

ظهرت القدرية^(١) في آخر عصر الصحابة، وأصل بدعتهم كانت من عجز عقولهم عن الإيمان بقدر الله والإيمان بأمره ونهيه ووعده ووعيده، واعتقدوا أن ذلك ممتنع، وكانوا قد آمنوا بدين الله ﷻ، ولكنهم ظنوا أنه إذا كان كذلك لم يكن قد علم قبل الأمر من يطيع ومن يعصي، لأنهم ظنوا أن من علم ما سيكون لم يحسن منه أن يأمر وهو يعلم أن المأمور يعصيه ولا يطيعه، وحسبوا أنه إذا علم أنهم يفسدون لم يحسن أن يخلق من يعلم أنه يفسد، فلما بلغ قولهم بإنكار القدر السابق أنكرهم الصحابة إنكاراً عظيماً وتبرؤوا منهم حتى قال عبد الله بن عمر رضي الله عنه (أخبر أولئك أني بريء منهم وأنهم مني براء والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر).^(٢)

والقدرية على ثلاثة أصناف^(٣) : قدرية مشركية، وقدرية مجوسية، وقدرية إبليسية

الأولى : المشركية فهم الذين اعترفوا بالقضاء والقدر وزعموا أن ذلك يوافق الأمر والنهي وقالوا : ﴿ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاءُنَا وَلَا حَرَمًا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ سورة البقرة ^(٤) فهؤلاء يؤول أمرهم إلى تعطيل الشرائع والأمر والنهي مع الاعتراف بالربوبية العامة لكل مخلوق وأنه ما من دابة إلا ربي أخذ بناصيتها.

^١ - ينظر كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، أحمد عبد الحلیم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، مكتبة ابن تيمية، الطبعة: الثانية، ج ١٣/ص ٣٦

^٢ - سنن البيهقي الكبرى ، احمد الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة ، سنة النشر : ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م ، ج ١٠/ص ٢٠٣

كذلك شعب الإيمان ، أبو بكر احمد بن حسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) ، تحقيق : محمد السعيد بسبوني زغلول . دار الكتب العلمية - بيروت ، سنة النشر : ١٤٠٠ هـ ، الطبعة الأولى، ج ١/ص ٢٠٢

^٣ - ينظر مجموع الفتاوى ج ٨/ص ٢٥٦

^٤ - سورة الأنعام من الآية : ١٤٨

الثانية : الجوسية فهم الذين يجعلون الله شركاء في خلقه كما جعل الأولون لله شركاء في عبادته، فيقولون خالق الخير غير خالق الشر، ويقولون أن الذنوب الواقعة ليست واقعة بمشيئة الله تعالى، وربما قالوا ولا يعلمها أيضا، ويقولون أن جميع أفعال الحيوان واقع بغير قدرته ولا صنعه؛ فيجحدون مشيئته النافذة وقدرته الشاملة، ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنه : [القدر نظام التوحيد، فمن وحد الله وآمن بالقدر تم توحيدِهِ، ومن وحد الله وكذب بالقدر نقض تكذيبه توحيدِهِ.]^(١) ويزعمون أن هذا هو العدل^(٢)

الثالثة : الإبليسية فهم الذين صدقوا بأن الله جل جلاله صدر عنه الأمان لكن عندهم هذا تناقض،^(٣) حيث أنهم ظنوا أنه إذا كان الأمان بالطاعة والمعصية صدرا عن الله جل جلاله لم يكن قد علم قبل الأمر من يطيع ومن يعصي، لأنهم ظنوا أن من علم ما سيكون لم يحسن منه أن يأمر وهو يعلم أن المأمور يعصيه ولا يطيعه، وحسبوا أنه إذا علم أنهم يفسدون لم يحسن أن يخلق من يعلم أنه يفسد، لذا بلغ قولهم بإنكار القدر السابق، وهذا أكبر وهم وقعوا فيه.

رابعاً . الشيعة

هي طائفة (تدين بإمامة أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه واتباعه على وجه التدين والولاء للمتبوع والإخلاص قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ هَذَا وَهَذَا مِنْ عَدُوِّ هَذَا فَاسْتَعْتَبَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾ **القصص: ١٥**^(٤) وجعل موجب التشيع للفرد هو الولاء)^(١)

١ - مجمع الزوائد ١٩٧/٧ ، المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، دار الحرمين القاهرة - ١٤١٥، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ٤٦/٤

٢ - مجموع الفتاوى ج ٨/ص ٢٥٨

٣ - المصدر السابق ج ٨/ص ٢٦٠

٤ - سورة القصص: ١٥

لذا يعتبر الإمام علي عليه السلام صاحب الاعتقاد الأول في الفكر الشيعي، ويروى أن شيخا قام إلى ابن علي عليه السلام (٢) طالب بعد انصرافه من صفين فقال أخبرنا عن مسيرنا إلى الشام أكان بقضاء الله وقدره؟ فقال والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما وطننا موطننا ولا هبطنا واديا ولا علونا تلة إلا بقضاء الله وقدره. قال الشيخ عند الله احتسب عنائي ما أرى لي من الأجر شيئا. فقال له مه أيها الشيخ، عظم الله أجركم في مسيركم وأنتم سائرون، وفي منصرفكم وأنتم منصرفون، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين، ولا إليها مضطرين. فقال الشيخ كيف والقضاء والقدر ساقانا؟ فقال ويحك لعلك ظننت قضاء لازما وقدر حتما، لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب والوعد والوعيد والأمر والنهي، ولم تأت لائمة من الله لمذنب، ولا محمداً لمحسن، ولم يكن المحسن أولى بالمدح من المسيء، ولا المسيء أولى بالذم من المحسن، تلك مقالة عبدة الأوثان وجنود الشياطين وشهود الزور وأهل العمى عن الصواب، وهم قذرية هذه الأمة ومجوسها، إن الله أمر تخييراً، ونهى تحذيراً، وكلف يسيراً، لم يعص مغلوباً، ولم يطع مستكرها، ولم يرسل الرسل إلى خلقه عبثاً، ولم يخلق السموات والأرض وما بينهما باطلاً، ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار. فقال الشيخ وما القضاء والقدر اللذان ما سرنا إلا بهما قال هو الأمر من الله والحكم، ثم تلا قوله تعالى ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ٢٣ ﴾ وسئل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام عن القضاء، قال : (العلم السابق في اللوح المحفوظ والرق

١ - أوائل المقالات في المذاهب المختارة ، الشيخ المفيد ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان البغدادي العبكري (١٤١٣هـ - ١٠٢٣م) مطبعة تبريز ، ١٣٧١هـ ، ص ٢ - ٤

٢ - ينظر شرح المقاصد في علم الكلام ج ٢/ص ١٤٣
ومينظر كذلك الإنصاف في التنبيه على المعاني والأسباب التي أوجبت الاختلاف، عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية ، دار الفكر - بيروت - ١٤٠٣، الطبعة: الثانية، ج ١/ص ١٣٦

المنشور بكل ما كان وبما هو كائن ويتوفيق الله ومعاونته لمن اجتباه بولايته وطاعته وبخذلان الله وتخليته لمن أراد له وأحب شقاه بمعصيته ومخالفته^(١) كما ورد عن الإمام أحمد بن عيسى بن زيد بن علي^(٢) عليهم السلام، انه روى عن علي بن أبي طالب عليه السلام أن رجلا سأله عن أفعال العباد فقال: (هي من الله خلق، ومن العباد فعل، لا تسأل عنها أحدا بعدي؛ قال أحمد بن عيسى بعد روايته: إنما يعذب الله العباد على فعلهم لا على خلقه)^(٣) واتفق علماء الشيعة على إثبات القدر (فموسى بن جعفر عليه السلام)^(٤) وسائر علماء أهل البيت متفقون على إثبات القدر، والنقل بذلك عنهم ظاهر معروف، وقدماء الشيعة كانوا متفقين على إثبات القدر والصفات، وإنما شاع فيهم رد القدر من حين اتصلوا بالمعتزلة في دولة بني بويه.^(٥)

خامساً - أهل السنة:

- ١ - الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية لإبانة عن أصول الديانة، علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري أبو الحسن، تحقيق: د. فوقية حسين محمود، (ت ٣٢٤ هـ)، دار الأنصار - القاهرة - ١٣٩٧، الطبعة: الأولى، ج ٢/ص ١٤٢
- ٢ - أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام قدم أصبهان توفي بها في خلافة الرشيد دفن بموضع يقال له واذار يكنى أبا الطاهر قدمها في خلافة الرشيد هاربا منه يروي عن علي بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي عن ابن إسحاق روى عنه جعفر بن مروان.
- تاريخ أصبهان، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن مهران المهراني الأصبهاني، (ت ٤٣٠ هـ) تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م، الطبعة: الأولى، ج ١/ص ١١١
- ٣ - إثبات الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، محمد بن نصر المرتضى اليماني (ابن الوزير)، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٨٧ م، الطبعة: الثانية ج ١/ص ٢٩١
- ٤ - موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي أبو الحسن الملقب بالكاظم المدني عن أبيه وعنه ابنه علي الرضا وأخواه علي ومحمد ابنا جعفر بن محمد وطائفة قال أبو حاتم ثقة صدوق إمام من أئمة المسلمين مات سنة ثلاث وثمانين ومائة رحمه الله.
- لسان الميزان، ج ٧: ص ٤٢٠
- ٥ - منهاج السنة النبوية منهاج السنة النبوية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس (ت ٧٢٨ هـ) تحقيق: د. محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة - ١٤٠٦ هـ، الطبعة: الأولى، ١٣٩ / ٣

أجمعت الفرق من أهل السنة والجماعة على أن القضاء هو إرادة الله ﷻ الأزلية، وأن أفعال العباد مخلوقة لله ﷻ وكل شيء يجري بمشيئة الله ﷻ، ففي الأثر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (لقد أخرج الله آدم من الجنة قبل أن يدخلها أحد)^(١) يعني أنه تعالى قدر خروج آدم من الجنة قبل أن يسكنه إياها لكي يسكنه في الأرض مع ذريته إلى أجل مسمى ثم قرأ ابن عباس رضي الله عنهما هذه الآية ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾^(٢) الآية (٢)

ومن الأشعار التي جاء فيها إثبات القدر قول لبيد رضي الله عنه حيث أنه قالها بعد إسلامه :
(٣)

إِنَّ تَقْوَى رَبِّنَا خَيْرٌ لَنَا وَيَأْذِنُ اللَّهُ رَبِّي وَعَجَلَ
أَحْمَدُ اللَّهِ فَلَا نَدَّ لَهُ بِيَدَيْهِ الْخَيْرُ مَا شَاءَ فَعَلُ
مَنْ هَدَاهُ سُبُلَ الْخَيْرِ اهْتَدَى نَاعِمَ الْبَالِ وَمَنْ شَاءَ أَضَلَّ^(٤)
وحينما سئل الإمام الشافعي رضي الله عنه عن القدر فأنشأ يقول:

١ - المستدرك على الصحيحين، ج ٢/ص ٢٨٧

٢ - سورة البقرة الآية : ٣٠

٣ - لبيد بن ربيعة العامري الشاعر أبو عقيل قدم على النبي صلى الله عليه وسلم سنة وفد قومه بنو جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة فأسلم وحسن إسلامه وهو لبيد بن ربيعة بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة روى عبد الملك بن عمير عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد ألا كل شيء ما خلا الله باطل، وهو شعر حسن وفي هذه القصيدة ما يدل على أنه قالها في الإسلام والله أعلم وذلك قوله : وكل امرئ يوم سيعلم سعيه إذا كشفت عند الإله المحاصل

وقد قال أكثر أهل الأخبار إن لبيدا لم يقل شعرا منذ أسلم، وقال بعضهم لم يقل في الإسلام إلا قوله: الحمد لله إذ لم يأتني أجلي حتى اكتسبت

من الإسلام سربالا

ينظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ) ، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل - بيروت - ١٢١٤ ، الطبعة: الأولى، ج ٣:ص ١٣٣٥

٤ - ديوان لبيد بن ربيعة العامري ج ١/ص ٧٩

(فما شئت كان وإن لم أشأ
خلقت العباد على ما علمت
على ذا مننت وهذا خذلت
فمنهم شقي ومنهم سعيد
وما شئت إن لم تشأ لم يكن
ففي العلم يجري الفتى والمسمن
وهذا أعنت وذا لم تعن
ومنهم قبيح ومنهم حسن.)^(١)

١ - قول الأشاعرة^(٢)

قالت الأشاعرة : أن القضاء والقدر والرزق والآجال وغيرها من الأمور الأخرى مكتوبة عند الله ﷻ أزلاً، ومتى تعلق إرادته ﷻ بالأشياء وجد ذلك القدر أي أنه إرادة أزلية تعلق بمقدور حادث حسب المخطط المرسوم .

قال أبو الحسن الأشعري (رحمه الله)^(٣) : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نفسه فقال: (كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد .)^(٤) وهذا يعني انه سبق في علم الله تعالى قبل أن يخلق نبيه، وكتب عنده في أم الكتاب انه نبي هذه الأمة ثم خلقه الله ﷻ نبياً مرسلًا كما علم أزلاً، فالحديث دليل صريح في إثبات القدر. وهذا الشيء يصدق على كثير من الآثار التي وعد النبي ﷺ بحدوثها والتي ظهرت فعلاً، فعن أبي بكره ﷺ قال رأيت رسول الله ﷺ على المنبر والحسن معه وهو يقبل على الناس مرة وعليه مرة ويقول : (إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين عظيمتين)^(٥) وقد وقع هذا فعلاً في عام الجماعة عندما تنازل سيدنا الحسن لمعاوية بالخلافة حقناً للدماء

^١ - ديوان الإمام الشافعي، جمعه وعلق عليه :محمد عفيف الزغبى، دار المطبوعات الحديثة، الطبعة الثانية، ٨٣/١

^٢ - الأشاعرة : يرأسهم الشيخ أبو الحسن الأشعري ولد في البصرة سنة ٢٧٠ هـ ، وقد درس على أبي علي الجبائي وكان على عقيدته الاعتزالية لكنه وقع في قلبه انه خارج عن السنة فتناقشا في وجوب رعاية الأصلح فغلبه أبو الحسن وبهت الجبائي ثم أعلن تركه لاعتقاد الجبائي ثم هاجر إلى بغداد ونشر عقيدته المشهورة بـ (الأشعرية) وتوفي في بغداد سنة ٣٢٤ هـ ودفن في مسجد المعروف جامع الأصفية

جواهر الكلام في عقائد الإسلام (١٧ /١) بتصرف .

^٣ - ينظر الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ج ١/ص ٢٢١

^٤ - سنن النسائي الكبرى ج ٦/ص ٧١

ويقول عضد الدين الأيجي (رحمه الله) : (أن قضاء الله ﷻ هو إرادته الأزلية المتعلقة بالأشياء على ما هي عليه فيما لا يزال، وقدره : هو إيجادها إياها على قدر مخصوص وتقدير معين في ذواتها وأحوالها)^(١) والقدر يأتي (طبق ما سبق به العلم القديم أي فهو صفة فعل).^(٢)

وعلى هذا فالأشاعرة توسطوا بين أصحاب الجبر وأصحاب الإختيار، وجاءوا بنظرية معروفة اكدت على العلاقة بين قدرة الله الفاعلة الشاملة وقدرة العبد المحدودة، وأن الله ﷻ يخلق الفعل عند كسب العبد له.

٢ - قول الماتريدية (٣)

أما القضاء والقدر عند الماتريدية فقد جاء على عكس ما قررته الأشاعرة في الإطار العام في سبق القدر للقضاء أي أن القدر حكمه والقضاء تنفيذه، حيث قالوا : (والقدر تحديده من الله تعالى أولاً لكل مخلوق بحده الذي يوجد به من حسن وقبح ونفع وضرر، وما يحويه من زمان ومكان، وما يترتب عليه من طاعة وعصيان وثواب وعقاب وغفران).^(٤) والقضاء (هو إيجاد الله الأشياء مع زيادة الأحكام والإلتقان)^(٥) (أي تعلق القدرة والإرادة بالحد الذي يوجد).^(٦) والناظر المتفحص يرى

١ - المواقف ٣ / ٢٦١

٢ - حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، علي الصعيدي العدوي المالكي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر - بيروت - ١٤١٢ هـ، ج ١/ص ٨١

٣ - الماتريدية : فرقة ظهرت في ديار ما وراء النهر، وكان يرأسهم أبو منصور الماتريدي تلميذ أبي نصر العياض، تلميذ أبي بكر الجوزجاني صاحب سليمان الجوزجاني تلميذ محمد بن الحسن الشيباني، وماتريد من قرى سمرقند ولهم نظرات خاصة في التكوين ومسألة الاستثناء في الإيمان ومسألة إيمان مقلد، وهي مدرسة تحاول أن تجمع بين الشرع والعقل. شرح المقاصد (٥ / ٢٣١ - ٢٣٢).

٤ - الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني : أحمد بن غنيم بن سالم النفرأوي المالكي، دار الفكر - بيروت ١٤١٥ هـ، ج ١/ص ٥٨

٥ - حاشية إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين لشرح قررة العين بمهمات الدين، أبي بكر ابن ابن السيد محمد شطا الدمياطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ج ٤/ص ٢٠٨

٦ - حاشية العدوي، ج ١/ص ٨١

أنه اختلاف في تسمية القضاء بدل القدر وبالعكس، وهذا كلام الماتريدية، وهو قريب من قول الأشاعرة.

وإذا أردنا أن نحدث مقارنة بين الأشاعرة والماتريدية فنقول : أنهما اتفقا في كون أن قدرة الله ﷻ أزلية تحدد كل مخلوق بحده الذي يوجد به من الحسن وضده وما يترتب عليه من صفات أخرى، فالقدرة الحادثة هو الكسب، (والكسب : هو الاقتران العادي بين القدرة الإنسانية الحادثة والفعل، فإن الله ﷻ قد أجرى العادة بخلق الفعل عند قدرة العبد وإرادته لا بقدرة العبد وإرادته)^(١) والأفعال مسندة إلى الله تعالى خلقا وإلى العبد كسبا، وأن الأشاعرة والماتريدية يختلفان في مسألة بسيطة وهي أن كسب العبد يأتي بإثبات قدرة مرجحة من العبد عند الماتريدية، وعند الأشاعرة : بقدرة مقارنة للفعل وقول الأشاعرة أقرب إلى الأدب^(٢)

٣ - قول السلفية :

ظهرت هذه الفرقة في القرن الرابع الهجري وأن آراءهم تنتهي إلى الإمام أحمد بن حنبل (رحمه الله) ثم تجدد ظهورها في القرن السابع على يد الإمام ابن تيمية (رحمه الله) أضاف إليها أموراً أخرى لما تطلبه عصره^(٣)

قال ابن تيمية (رحمه الله): { وأنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون و ما لم يكن لو كان كيف يكون، وقد دخل في ذلك أفعال العباد وغيرها، وقد قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم، قدر آجالهم وأرزاقهم وأعمالهم وكتب ذلك، وكتب ما يصيرون إليه من سعادة وشقاوة، فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء، وقدرته على كل

^١ - شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي (ت ٧٥١ هـ)، تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي، دار الفكر - بيروت - ١٣٩٨، ج ١/ص ١٢٢

^٢ - ينظر كتاب كليات المعجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م. ، ج ١/ص ١٦٢

^٣ - ينظر المذاهب الإسلامية ، محمد أحمد أبو زهرة ، ملتزم النشر : مكتبة الآداب ومطبعتها ، المطبعة النموذجية ٣١١/١

شيء، ومشيئته لكل ما كان، وعلمه بالأشياء قبل أن تكون، وتقديره لها وكتابته إياها قبل أن تكون {^(١)

وقال أيضاً : { ومما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها مع إيمانهم بالقضاء والقدر، أن الله خالق كل شيء، وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه يضل من يشاء ويهدي من يشاء، وأن العباد لهم مشيئة وقدره يفعلون بمشيئتهم وقدرتهم ما أقدرهم الله عليه، مع قولهم أن العباد لا يشاؤون إلا أن يشاء الله قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ

بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكَّرٌ ﴿ ٥٤ ﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿ ٥٥ ﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ النَّفْيِ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿ ٥٦ ﴾ }^(٢)

لذا يقاس صلاح العبد وصلاحه بعمله وفعله، وأن أفعال العباد هي المعيار الحقيقي (بها صاروا مطيعين وعصاة، وهي مخلوقة لله تعالى، والحق سبحانه وتعالى منفرد بخلق المخلوقات لا خالق لها سواه).^(٣) و(معلوم أن المقضي في الأرض، والقضاء فعله سبحانه المتضمن لمشيئته وقدرته).^(٤) ويتجلى رأيهم في المسألة عند تعرضهم لقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿ ٦١ ﴾ ﴾^(٥) بعد تعليقهم على قول الطبري حيث قال (رحمه الله): (يقول تعالى ذكره مخبراً عن قول إبراهيم ﷺ لقومه والله خلقكم أيها القوم وما تعملون، وفي قوله ﴿وما تعملون﴾ وجهان:

أحدهما : أن يكون قوله ﴿ما﴾ بمعنى المصدر فيكون معنى الكلام حينئذ والله خلقكم وعملكم .

١ - مجموعة فتاوى ابن تيمية، ج ٨/ص ٤٤٩ - ٤٥٠

٢ - مجموعة فتاوى ابن تيمية ج ٨/ص ٤٥٢

٣ - شرح العقيدة الطحاوية ج ١/ص ٩٣

٤ - التحفة المدنية في العقيدة السلفية، الشيخ العالم العلامة حمد بن ناصر بن عثمان آل معمر، تحقيق: عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم، دار العاصمة للنشر والتوزيع - الرياض

- ١٤١٣ هـ، الطبعة: الأولى، ج ١/ص ٩٢

٥ - سورة الصافات الآية : ٩٦

والآخر: أن يكون بمعنى الذي فيكون معنى الكلام عند ذلك والله خلقكم والذي تعملونه أي والذي تعملون منه الأصنام وهو الخشب والنحاس والأشياء التي كانوا ونقل ابن الجوزي (رحمه الله) في تفسيره زاد المسير^(١) قول ابن جرير الطبري سابق الذكر ولم يرجح أحد الرأيين على الآخر، إلا أن ابن تيمية (رحمه الله) رجح القول الثاني في الفتاوى وجزم أن أفعال العباد مخلوقة لله ﷻ حيث قال:

(جعل الأصنام منحوتة معمولة لهم، وأخبر أنه خالقهم وخالق معمولهم، فإن ﴿ ما ﴾ ها هنا بمعنى الذي، والمراد خلق ما تعملونه من الأصنام، وإذا كان خالقا للمعمول وفيه أثر الفعل دل على أنه خالق لأفعال العباد).^(٢)

المطلب الخامس : مراتب القدر عند السلفية

يعتبر القدر من أبرز المسائل الغيبية في العقيدة الإسلامية كما أنه يثير العديد من الإشكاليات لأصحاب العقائد مما جعله مزلة أقدام ، وباباً ضل فيه الكثيرون لأنهم قاسوا الغائب على الحاضر وحاولوا الإطلاع على أسرار وخفايا موضوع هو من أخص خصائص عالم الغيب الذي اختص الله ﷻ بعلمه فلم يطلع على غيبه أحداً إلا من اصطفى من أنبيائه ورسله، بل إن هؤلاء المرسلين أنفسهم لم يطلعهم تعالى على كل شيء بل أطلعهم على ما أراد لحكمة بالغة قضاها.

ولما كانت قضية القضاء والقدر بهذه الخطورة فإن الله ﷻ لم يترك خلقه هكذا في جهالة من أمرهم مما يعين الشيطان عليهم حاشا له أن يفعل ذلك بل أقام لهم دلائل على الهدى في باب القدر فلا يضل عن هداها إلا هالك، ومن هذه الدلائل ترغيب المؤمنين في الإيمان بالغيب والتسليم به، والصبر على حلو القدر ومره، والتبشير بثوابه وحسن جزائه في العاقبة سواء في الدنيا أو الآخرة.

^١ - ينظر زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، (ت ٥٧٩هـ)، المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٤ هـ ، الطبعة: الثالثة، ج٧/ص٧٠

^٢ - مجموع الفتاوى، ج٨/ص١٧

وجعل لهم من الكتاب والسنة مسلكاً لتقوية إيمانهم وإعانتهم على الصبر على مر القدر، والشكر على حلوه، ومنهجاً يوضح مدلول القضاء والقدر في إطار واضح، ولأجل إيضاح هذا المفهوم قسم علماء المدرسة السلفية القدر إلى مراتب^(١):

أولاً : المرتبة الأولى : العلم

وهو علم الرب سبحانه بالأشياء قبل كونها، وعلمه أزلي سواء ما يتعلق ذلك بأفعال العباد أو ما يحدث في الكون، فعلمه محيط بما كان، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، فهو عالم بالموجود^(٢)، والمعدوم^(٣)، والممكن^(٤)، والمستحيل^(٥)، ولا يعزب عن علمه مثقال حبة في السماوات ولا في الأرض، وقد علم جميع خلقه قبل أن يخلقهم، وعرف أعمالهم وحركاتهم وسكناتهم، وعرف أهل الجنة وأهل النار، واتفق على ذلك الجميع ما عدى اليهود والفلاسفة والغلاة من القدرية، والأدلة على هذه الرتبة كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ^(٦) وقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ ^(٧)

ثانياً : المرتبة الثانية : الكتابة

^١ - ينظر الوسطية في القرآن الكريم، د.علي محمد الصلابي، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص ٣٣٠

^٢ - الموجود : هو الثابت في الذهن وفي الخارج ، المعجم الوسيط (٢+١) : إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار، دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية ج٢/ص١٠١٣

^٣ - المعدوم : ليس بشيء معناه أنه غير ثابت في الأعيان، التعاريف ج١/ص٤٤٣

^٤ - الممكن العام : هو ما لا يمتنع وقوعه فيدخل فيه الواجب والجائز الممكن، كتاب الكليات ج١/ص٣٤٠

^٥ - المستحيل : الباطل و ما لا يمكن وقوعه، المعجم الوسيط ج١/ص٢١٠

^٦ - سورة الأنعام الآية : ٥٩

^٧ - سورة الرعد الآية: ٨

وهذه المرتبة تدعو بأن الله ﷻ كتب ما سبق علمه من مقادير الخلائق من أول مخلوق إلى يوم القيامة، وذلك قبل خلق السموات والأرض وذلك بأن يتحول العلم إلى كتابة، يقول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (٧٠) (١) وكذلك للحديث الذي رواه الإمام علي رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم في جنازة فأخذ شيئا فجعل ينكت به الأرض فقال: [ما منكم من أحدٍ إلا وقد كتبت مفعده من النار ومفعده من الجنة] قالوا: يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وتدع العمل قال: [اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما من كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاء فييسر لعمل أهل الشقاوة، ثم قرأ قوله تعالى ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَى ﴾ (٥) وصدق بالحسنى ﴿ ٦ ﴾ فسيسره لليسرى ﴿ ٧ ﴾ وأما من بخل واستغنى ﴿ ٨ ﴾ وكذب بالحسنى ﴿ ٩ ﴾ فسيسره لليسرى ﴿ ١٠ ﴾ وما يعنى عنه ماله إذا تردى ﴿ ١١ ﴾ (٢) [(٣)]

ومعنى الحديث: أن للإنسان كسبا هو اختياره فعليه يقع الثواب والعقاب، فإذا خالف تبين لنا أن الله عز وجل قضى في السابق بأن يخالفه وإنما يعاقبه على خلافه لا على قضائه، ولهذا يقتل القاتل وليس له أن يتعلل بالقدر، وإنما ردهم الرسول ﷺ عن ملاحظة القدر إلى العمل لأن الأمر والنهي حال ظاهر، والمقدر أمر باطن، وليس لنا أن نترك ما عرفناه من تكليف ما لا نعلمه من المقضى، وقوله ﷺ: (فكل ميسر لما خلق له) إشارة إلى أسباب القدر، ونحن مطالبون بمزاولة الأسباب، فمن قضى له بالعلم يسر له طلبه وحبه وفهمه، ومن حكم له بالجهل نزع حب العلم من قلبه، وكذلك من قضى له بولد يسر له النكاح، ومن لم يقض له بولد لم ييسر له، ومن كان سعيدا فإنما يكون سعيدا لأنه يجري عليه أسباب السعادة من

١ - سورة الحج الآية: ٧٠

٢ - سورة الليل من الآية: ٥ - ١١

٣ - صحيح البخاري الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (ت ٢٥٦ هـ)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، باب قوله ﷻ (وكذب بالحسنى)، رقم الحديث ٤٦٦٥، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت - ١٤٠٧ - ١٩٨٧، الطبعة: الثالثة، ج ٤/ص ١٨٩١

العلم والعمل، وإن لم يتيسر له ذلك ولم يجر عليه فهو أمانة شقاوته والعياذ بالله .^(١) واختلف العلماء في كتابة هذا العلم على قولين ما بين كتابته في اللوح المحفوظ وهو رأي الجمهور، وبين كونه في العلم الأزلي أي كتابة القلم الذي أمره أن يكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة^(٢) قبل أن ينزله إلى اللوح، وبمعنى آخر أن الله ﷻ كتب جملة الحوادث مع أنها من الغيب مما يتعذر على الخلق، لكنها بحيث متى أرادها الله تعالى كانت.^(٣)

والذي أراه والله أعلم أن مرحلة الكتابة هذه هي قبل أن تكتب باللوحة المحفوظ وذلك للحديث الصحيح عن بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: [إن أول شيء خلقه الله القلم فقال له اكتب. فقال: وما أكتب؟ فقال: القدر فجرى من ذلك اليوم بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة. قال: وكان عرشه على الماء.]^(٤) ولما كان عرشه على الماء فلم تكن هنالك سماوات ولا لوح وهذه هي المرحلة الأولى في الكتابة، ودليلنا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: [كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ قَالَ وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ.]^(٥) والمرحلة الثانية هي مرحلة الكتابة في اللوح المحفوظ وهي عبارة عن نسخ ما كتب سابقاً من العلم الأزلي حتى يطع عليها الملائكة المكلفون بتصريف الأعمال وتنفيذها، والله أعلم،^(٦) وسنفضله في المبحث الرابع إن شاء الله.

١ - ينظر المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد (ت ٥٠٥ هـ)، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، الجفان والجابي - قبرص - ١٤٠٧ - ١٩٨٧، الطبعة: الأولى، (٩٧/١)

٢ - ينظر تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١ هـ)، دار الشعب - القاهرة ج ١٢/ص ٩٥

٣ - التفسير الكبير ج ٢٣/ص ٥٨

٤ - المستدرک علی الصحیحین، رقم: ٣٨٤٠، هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ج ٢/ص ٥٤٠

٥ - صحيح مسلم - رقم: ٢٦٥٢، باب حجاج موسى وأدم ج ٤/ص ٢٠٤٢

٦ - الكلام في هذا الموضوع طويل ومن أراد الاستزادة فليراجع ذلك في كتب التفسير لبداية سورة الدخان، وبالخصوص جامع البيان عن تأويل القرآن، ج ٢٥/ص ١٠٩، وكذلك روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، (ت ١٢٧٠ هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت ج ٢٥/ص ١١٣

ثالثاً : المرتبة الثالثة: المشيئة

مشيئة الله ﷻ المتناولة لكل موجود فلا خروج لكائن كما لا خروج له عن علمه فما شاءه الله كان وما لم يشأه لم يكن ، وأنه لا حركة ولا سكون ولا هداية ولا ضلالة إلا بمشيئته؛ هذا ما أمر الله ﷻ رسوله ﷺ أن يقوله ويفعله ، ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ۚ ﴾ (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۗ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ۗ ﴾ (٢٤) (١) وأن مشيئة الخلق لا تتحقق إلا أن تكون خاضعة لمشيئة الله ﷻ ، ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۗ ﴾ (٢) وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ.) (٣)

رابعاً : المرتبة الرابعة : الخلق

خلقه للأقدار أي تحويل القضاء إلى قدر وإيجاده وتكوينه، فالله خالق كل شيء وما سواه مخلوق من العدم، ﴿ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (٤) وتتطوي تحت هذه الآية الأشياء المادية والأشياء المعنوية، فهو سبحانه خلق الموجودات كلها؛ الأجسام والأجرام والأفلاك وغيرها ، كما خلق الأشياء المعنوية كالموت والحياة قَالَ تَعَالَى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ (٥) وخلق الأعمال إنما يأتي من جنس خلق الأعراض (الموت والحياة) وقد جمع الرسول ﷺ في الحديث الصحيح بين الأمرين فقال : [إن الله خالق كل صانع

١ - سورة الكهف الآيات: ٢٣ - ٢٤

٢ - سورة الإنسان الآية: ٣٠

٣ - صحيح مسلم ج ٤/ص ٢٠٤٥، باب: تَصْرِيفِ اللَّهِ تَعَالَى الْقُلُوبَ كَيْفَ شَاءَ، رقم الحديث : ٢٦٥٤

٤ - سورة الزمر الآية : ٦٢

٥ - سورة الملك الآية : ٢

وصنعتة [١] فهو عَلَّامٌ خَلَّاقٌ خالق الإنسان ومهنته، وخالق الكافر وكفره، والمؤمن وإيمانه، والمتحرك وحركته، والساكن وسكونه، وكل ما عرفناه وكل ما لم نعرفه.

المبحث الثالث

آراء العلماء في القدر

انقسمت الأمة الإسلامية إلى ثلاثة أقسام (٢) :

القسم الأول : غلوا في إثبات القدر وسلبوا العبد قدرته واختياره وقالوا : إن العبد ليس له قدرة ولا اختيار ، وإنما هو مسير لا مخير كالشجرة في مهب الريح كما رأينا من اعتقاد الجبرية، فلم يفرقوا بين فعل العبد الواقع باختياره، وبين فعله الواقع بغير اختياره، ولا شك أن هؤلاء ضالون؛ وقولهم هذا يبطل الشريعة من أصلها؛ لأن القول بأن فعل العبد ليس له فيه اختيار يلزم منه أن لا يُحمَدَ أحدٌ على فعل محمود، ولا يلام على فعل مذموم؛ لأنه في الحقيقة بغير اختيار وإرادة منه، وحينئذ يكون من الظلم أن يُعذبَ العاصي يوم القيامة، لأنه عوقب على أمر لا اختيار له فيه ولا إرادة، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، وهذا بلا شك مخالف لصريح القرآن يقول

الله تبارك وتعالى: ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىٰ عَيْنِي ﴿٢٢﴾ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ كُلٌّ كَفَّارٍ عِنْدِي ﴿٢٤﴾ مَنَاعٍ

١ - المستدرك على الصحيحين، قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، رقم : ٨٧، ج ١/ص ٨٥

٢ - ينظر : العقيدة الواسطية ، أحمد بن عبد الحلیم بن تیمية الحراني ، (ت ٧٢٨ هـ) ، تحقيق : مُحَمَّد بن عبد العزیز بن مانع، الرئاسة العامة لإدارات البحوث والإفتاء ، الرياض ، ط ٢ ، ١٤١٢ هـ ، ٣٥/١ ،

لَلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْفَيْاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْفَيْنَاهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعْدِ ﴿٢٨﴾ مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ ﴿١﴾. فبيّن سبحانه أن هذا العقاب منه ليس ظلماً بل هو كمال العدل لأنه قد قدم إليهم بالوعد، وبين لهم الطرق، وبين لهم الحق والباطل، ولكنهم اختاروا لأنفسهم أن يسلكوا طريق الباطل، فلم تبق لهم حجة عند الله ﷻ .

القسم الثاني : غلوا في إثبات قدرة العبد واختياره، حتى نفوا أن يكون لله تعالى مشيئة أو اختيار أو خلقاً فيما يفعله العبد، وزعموا أن العبد مستقل بعمله، كما رأينا ذلك في اعتقاد القدرية وأغلب علماء المعتزلة، حتى قالت القدرية: إن الله تعالى لا يعلم بما يفعله العباد إلا بعد أن يقع منهم، وهؤلاء أيضاً غلوا وتطرفوا تطرفاً عظيماً في إثبات قدرة العبد واختياره. والنصوص القاضية بأن مشيئة الإنسان تابعة لمشيئة الله ﷻ قال تعالى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ (٢)

والذين يقولون بهذا القول هم في الحقيقة يسلبون الله تعالى صفة من صفاته، وهي الخالقية التي لا يشاركه فيها احد ولا تطلق على احد إلا تجوزاً كقوله ﷻ لسيدنا عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ﴿٣﴾﴾، وهم أيضاً يدعون بأن في ملك الله تعالى ما لا يشاؤه ولا يخلقه، والله خالق لكل شيء، ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ (٤)، والشيء هو الموجود؛ لأن المعدوم ليس بشيء (٥).

القسم الثالث : وهم الذين آمنوا فهداهم الله لما اختلف فيه من الحق بإذنه،

١- سورة ق: الآيات ٢٣-٢٩.

٢- سورة التكويد: الآيتان ٢٨، ٢٩.

٣- سورة المائدة: الآية ١١٠.

٤- سورة الزمر: الآية ٦٢.

٥- ينظر: الكشاف: ٦٥/٤.

فسلكوا في ذلك مسلكاً وسطاً قائماً على الدليل الشرعي مستعينين على فهمه بالعقل، وهم أهل السنة والجماعة، وقالوا : إن الأفعال التي يحدثها الله تعالى في الكون تنقسم إلى نوعين :

١- النوع الأول : ما يجريه الله . تبارك وتعالى - من فعله في مخلوقاته، فهذا لا اختيار لأحد فيه، كإنزال المطر، والإحياء والإماتة، وغير ذلك من الأمور الكثيرة التي تشاهد في مخلوقات الله تعالى، وهذه بلا شك ليس لأحد فيها اختيار وليس لأحد فيها مشيئة ، وإنما المشيئة فيها لله الواحد القهار.

٢- النوع الثاني: ما تفعله الخلائق كلها من نوات الإرادة، فهذه الأفعال تكون باختيار فاعليها وإرادتهم؛ لان الله تعالى جعل ذلك إليهم قال الله تعالى: ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴾ (١) ، وقال تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾ (٢)، والإنسان يعرف الفرق بين ما يقع منه اختياراً ، وبين ما يقع منه اضطراراً وإجباراً ، فالإنسان ينزل من السطح بالسلم نزولاً اختيارياً يعرف انه مختار؛ ولكنه يسقط هاوياً من السطح يعرف انه ليس مختاراً لذلك، ويعرف أن الفرق بين الفعلين هو أنه مختار في الأول ومضطر في الثاني، وكل عاقل يعرف ذلك .

وكذلك الإنسان يعرف انه إذا أصيب بمرض سلس البول (أجلكم الله)، فإن البول يخرج منه بغير اختياره، وإذا كان سليماً من هذا المرض فإن البول يخرج منه باختياره، ويعرف الفرق بين هذا وهذا.

وهكذا كل ما يقع من العبد يعرف فيه الفرق بين ما يقع اختياراً وبين ما يقع اضطراراً وإجباراً، بل إن من رحمة الله ﷻ أن من الأفعال ما هو باختيار العبد؛ ولكن لا يلحقه منه شيء كما في فعل الناسي والنائم يقول الرسول ﷺ: (من نسي

١ - سورة التكويد: الآية ٢٨ .

٢ - سورة الكهف: الآية ٢٩ .

وهو صائم فأكل وشرب فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه (١) ، ويقول الله تعالى في قصة أصحاب الكهف: ﴿ وَتَقَلَّبَهُمُ دَاتَ الْيَمِينِ وَدَاتَ الشِّمَالِ وَكَبَّهُم بِسِطِّ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا ﴾ (٢) ، وهم الذين يتقلبون؛ ولكن الله تعالى نسب الفعل إليه؛ لان النائم لا اختيار له ولا يؤخذ بفعله، فنسب فعله إلى الله ﷻ (٣) .

المطلب الأول - آراء خاطئة والرد عليها

احتجت القدرية بالقدر، وعلقوا أخطاءهم على شماعته تهرباً من المسؤولية، وهم بذلك واهمون، فمن احتج به فحجته داحضة، ومن اعتذر بالقدر فعذره غير مقبول، ولو كان الإحتجاج مقبولاً لقبل من إبليس وغيره من العصاة، ولو كان القدر حجة للعباد لم يعذب أحد من الخلق لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولو كان القدر حجة لم تقطع يد سارق، ولا قُتل قاتل، ولا أقيم حد على ذي جريمة، ولا جاهد في سبيل الله، ولا أمر بالمعروف ولا نهى عن المنكر (٤) فإن الله تبارك وتعالى نفى أن يكون للناس حجة بعد إرسال الرسل؛ ولو قلنا بهذا القول لبطل قول الله ﷻ : ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ اتَّقَاةِ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٥) لأن الحجة قامت عليهم بذلك، فلو كان القدر حجة لهم لكانت هذه الحجة باقية حتى بعد بعث الرسل؛ لان قدر الله تعالى لم يزل ولا يزال موجوداً قبل إرسال الرسل وبعد إرسالهم، إذن فهذا القول تبطله النصوص ويبطله الواقع (٦) .

١ - متفق عليه من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - ، صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ، باب الصائم إذا أكل ناسياً : ٢ / ٦٨٢ رقم (١٨٣١) ؛ وَصَحِيحُ مُسْلِمٍ، باب الصائم إذا أكل أو شرب أو جامع ناسياً، رقم: ١١٥٥ ، ج ٢ / ص ٨٠٩ .

٢ - سورة الكهف: الآية ١٨ .

٣ - ينظر : رسالة في القضاء والقدر، أبو بكر حمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي(ت ٤٥٨ هـ) ، : مكتبة العبيكان - الرياض / السعودية - ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد بن عبد الله آل عامر .

٤ - ينظر مجموع الفتاوى ج ٨ / ص ٢٦٤ - ٢٦٥ .

٥ - سورة النساء: الآية ١٦٥ .

٦ - ينظر : رسالة في القضاء والقدر : ص ٤ - ٥ .

وعمله ، وشقي أم سعيد [١] إن الأمرين متشابهان فكيف يُفرق بينهما؟ فكما يسعى المرء لنيل رزقه ويسعى لبقاء حياته وامتداد أجله، فإن مرض ذهب إلى أقطار الدنيا بحثاً عن الطبيب الماهر الذي يداويه مع علمه بان الأجل لا يتقدم ولا يتأخر، فلماذا لا يكون العمل في طريق الآخرة كما هو الحال في طريق الدنيا؟..... ويضل القضاء سراً مكنوناً، ولغزاً مكتوماً، لا يمكن أن نقول به قولاً قطعياً، فإنه من أمور الغيب التي لا يعلمها إلا الله، وبالتالي فإن العبد يبقى مختاراً بين طريقين:

- ١- طريق يؤدي به إلى السلامة وإلى الفوز والسعادة والكرامة.
 - ٢- طريق يؤدي به إلى الهلاك والندامة والمهانة
- وهو واقف بينهما ومخير ليس أمامه ما يمنعه من سلوك طريق اليمين ولا من سلوك طريق الشمال، فلماذا يسلك الطريق المعوج ثم يقول أنه قد قدر علي، أفلا يليق به أن يسلك طريق اليمين، ويقول إنه قدر لي، فلو أرد أحد السفر إلى بلد ما وكان أمامه طريقان إحداهما معبد قصير آمن والآخر غير معبد وطويل ومخيف، لوجدناه يختار المعبد القصير الآمن، وهكذا سائر ما يعرض للإنسان، ولكن النفوس والأهواء هي التي تتحكم أحياناً في العقل وتغلبه على ما يريد، والمؤمن ينبغي أن يكون عقله غالباً على هواه، وإذا حكم عقله فإنه يعقله عما يضره ويدخله فيما ينفعه ويسره، بهذا تبين لنا أن للإنسان نوع اختيار فيما يفعل ويترك.

المطلب الثاني - الاعتقاد الوسط

بعد هذا التطواف بين آراء الفرق في القضاء والقدر ينبغي علينا أن نذكر الرأي الوسط في الاعتقاد والذي نراه صحيحاً، فالإيمان بالقدر هو أحد عناصر الإيمان بالله عز وجل ، قال النبي ﷺ: {الإيمان أن تُؤمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ} (٢)

١ - صحيح البخاري، باب ذكر الملائكة، رقم ٣٠٣٦، ج ٣:ص ١١٧٤

٢ - صحيح مسلم، كتاب الايمان، رقم ٨، ج ١/ص ٣٧،

قلوبهم بعد أن زاغوا، وأن اختيار الله ﷻ لم يكن عشوائياً، وهذا يدل على أن إزاغة قلوبهم هو حكمه عليها بالزيغ لا جعلها زائغة، وكذلك قوله أنطقنا الله المراد جعل لنا آلة النطق، وأضحك وأبكى جعل لهم آلة الضحك والبكاء.

وللرد على هذا الاعتراض نقول : إن نطق الجلود كامن فيها وعندما سألها ربنا ﷻ لم تستطع أن تكذب وهي في دار الحق، فنطقت بعد أن جعل الله فيها قدرة النطق وهي مسلمة أمرها لله ﷻ، وما يقال على الجلود يقال على الضحك والبكاء، كما أن الإزاغة المترتبة على زيغهم هي إزاغة أخرى غير الإزاغة التي زاغوا بها أولاً عقوبة لهم على زيغهم، والرب تعالى يعاقب على السيئة بمثلها كما يثيب على الحسنة بمثلها فحدث لهم زيغ آخر غير الزيغ الأول فهم زاغوا أولاً فجازاهم الله بإزاغة فوق زيغهم^(١) إذ أنهم لما زاغوا بفعلهم أزاغ الله محرك الفعل وهو القلب.

المطلب الثالث - هل يكون للمقدور فاعلان ؟

إن مما أشكل على بعض العلماء فهمه كيف يكون فاعلان على مقدور واحد؟
والجواب : إن العبد يكون فاعلاً بمعنى، والله عز وجل فاعل بمعنى آخر، فمعنى كون الله تعالى فاعلاً أنه المخترع الموجد، ومعنى كون العبد فاعلاً أنه المحل الذي خلق فيه القدرة على الفعل بعد أن خلق فيه الإرادة بعد أن خلق فيه العلم، فارتبطت القدرة بالإرادة، والحركة بالقدرة ارتباط الشرط بالمشروط، وارتبطت بقدرة الله ﷻ ارتباط المعلول بالعلة، وكل ما له ارتباط بقدرة فإن محل القدرة يسمى فاعلاً له كيفما كان الارتباط، كما يسمى الجلاد قاتلاً والأمير قاتلاً، لأن القتل ارتبط بقدرتهما ولكن على وجهين مختلفين، فلذلك سمي فاعلاً لهما، وكنت أناظر أحد الإخوة حول هذا الموضوع وكان بجوارنا جهاز استنساخ وكان التيار الكهربائي مقطوعاً فقلت له لو حاولت تشغيل الجهاز هل سيشغل؟ قال لا وكيف يشغل! فقلت لو جاء التيار الكهربائي وشغلنا الجهاز هل يشغل؟ قال نعم ما لم يكن عاطلاً. قلت هكذا تكون العلاقة بين قدرة الله ﷻ وبين قدرة المخلوق وهكذا تمثل أفعال العباد، فالجهاز لوحده

١ - ينظر شفاء العليل ١٣٤/١ - ١٣٥

هو بمثابة الإنسان، والتيار الكهربائي بمثابة قدرة الله ﷻ المشغلة للجهاز، فإذا وجد التيار الكهربائي وكان الجهاز سليماً اشتغل وإذا تخلف أحد الأسباب لا يمكنه أن يشتغل.

ولأجل توافق ذلك وتطابقه نسب الله تعالى الأفعال في القرآن مرة إلى الملائكة ومرة إلى العباد، ونسبها بعينها مرة أخرى إلى نفسه؛ فقال الله تعالى في الموت ﴿يَدْعُو نَحْنُ نَمُوتُ نَبِيُّ بَحْبَحٍ بَخٍ بَخٍ﴾^(١)، و ﴿تُدْعُوهُ هُجْرٌ مَجْرٌ﴾^(٢)، ثم قال عز وجل ﴿تُدْعُوهُ فُتْفُتٌ﴾^(٣)، وقال عز وجل ﴿يَدْعُوهُ تَدْتُّتٌ تَدْتُّتٌ﴾^(٤) ثم ﴿تُدْعُوهُ بَبَبٌ بَبَبٌ﴾^(٥) وكان النافخ جبريل عليه السلام، وقال تعالى ﴿بَبَبٌ بَبَبٌ بَبَبٌ بَبَبٌ بَبَبٌ بَبَبٌ﴾^(٦) فأضاف القتل إليهم والتعذيب إلى نفسه؛ والتعذيب هو عين القتل، بل صرح و ﴿تُدْعُوهُ بَبَبٌ بَبَبٌ﴾^(٧) وقال تعالى ﴿بَبَبٌ بَبَبٌ بَبَبٌ بَبَبٌ بَبَبٌ بَبَبٌ﴾^(٨) والنص جمع بين النفي والإثبات، ولكن معناه وما رميت بالمعنى الذي يكون الرب به رامياً إذ رميت بالمعنى الذي يكون العبد به رامياً إذ هما معنيان مختلفان.

ولذلك قال النبي ﷺ للذي ناوله التمرة: [خُذْهَا لَوْ لَمْ تَأْتِهَا لِأَنَّكَ]^(٩) أضاف الإتيان إليه وإلى التمرة، ومعلوم أن التمرة لا تأتي على الوجه الذي يأتي الإنسان إليها، فكل من أضاف الكل إلى الله تعالى فهو المحقق الذي عرف الحق والحقيقة، ومن أضافه

١ - سورة السجدة الآية : ١١

٢ - سورة البقرة الآية : ٢٥١

٣ - سورة الزمر الآية : ٤٢

٤ - سورة مريم الآية: ١٧

٥ - سورة الأنبياء: الآية ٩١

٦ - سورة التوبة الآية: ١٤

٧ - سورة الأنفال الآية: ١٧

٨ - سورة الأنفال الآية: ١٧

٩ - صحيح ابن حبان ، محمد بن حبان بن احمد أبو حاتم التميمي البستي (ت ٣٥٤هـ) ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة للنشر - بيروت ، سنة النشر : ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م ، الطبعة الثانية ، رقم : ٣٢٤ ، قال شعيب الأرنؤوط : اسناده صحيح على شرط مسلم ج.٨/ص٣٣ .

إلى غيره فهو المتجوز والمستعير في كلامه، وللتجوز وجه كما أن للحقيقة وجهاً؛ مثل نسبة القتل إلى الأمير فإنه مجاز، ونسبة إضافته إلى الجراد حقيقة. ويوضح هذا المعنى قول رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينما قال: [أَصْدَقُ بَيِّتٍ قَالَهُ الشَّاعِرُ أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ] ^(١) أي كل ما لا قوام له بنفسه وإنما قوامه بغيره فهو باعتبار نفسه باطل، وإنما حقيته وحقيقته بغيره لا بنفسه، فإذن لا حق بالحقيقة إلا الحي القيوم الذي ليس كمثله شيء فإنه قائم بذاته، وكل ما سواه قائم بقدرته فهو الحق وما سواه باطل ^(٢)

المبحث الرابع

هل يمكن للقدر أن يتغير؟

اتجه العلماء متجهين مختلفين في إمكان تغيير القضاء والقدر، فمنهم من مال إلى إمكان تغييرهما، ومنهم من مال إلى عدم إمكان تغييرهما، وسنتعرض لجملة من آراء العلماء في هذين المجالين

المطلب الأول - من قال بعدم إمكان التغيير

ومن العلماء الذين قالوا بعدم إمكان التغيير :

١ - أبو منصور الماتريدي ^(٣) حيث أنه رجح عدم إمكان تغيير شيء كتبه الله ﷻ في اللوح فقال : (وكيف كتب في اللوح انه إن فعل كذا يكون كذا وإن لم يفعل

^١ - صحيح البخاري ، رقم : ٦١٢٤ ، بَابِ الْجَنَّةِ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ ج ٥/ص ٢٣٨٠

^٢ - ينظر إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، (ت ٥٠٥ هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر- بيروت ج ٤/ص ٢٥٦ - ٢٥٨

^٣ - محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي من كبار العلماء كان يقال له إمام الهدى له كتاب التوحيد وكتاب المقالات وكتاب بيان أوهام المعتزلة وكتاب تأويلات القرآن وهو كتاب لا يوازيه فيه كتاب بل لا يدانيه شيء من تصانيف من سبقه في ذلك الفن وله كتب شتى مات سنة ثلاث وثلاثين وثلاث مائة بعد وفاة أبي الحسن الأشعري بقليل وقبره بسمرقند

كان عاملاً، استعينوا بالله على أعمالكم فإنه يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب. (١)

ومما يؤكد ويدعم هذا القول؛ ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ولا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر.) (٢)

ثالثاً : البلاء : ونقل ابن تيمية عن الشيخ عبد القادر الكيلاني (رحمها الله) ما يثبت أن البلاء (وهو من أبواب القدر) يدفع بالدعاء وغيره، واتفقا على هذه المسألة فقال (٣) :

ولهذا قال الشيخ عبد القادر قدس الله روحه كثير من الرجال إذا دخلوا إلى القضاء والقدر امسكوا وأنا انفتحت لي فيه روزنة فنازعت أقدار الحق بالحق للحق والولي من يكون منازعا للقدر لا من يكون موافقا له، وهذا الذي قاله الشيخ تكلم به على لسان المحمدية؛ أي أن المسلم مأمور أن يفعل ما أمر الله ﷻ به ويدفع ما نهى الله ﷻ عنه وان كانت أسبابه قد قدرت، فيدفع قدر الله ﷻ بقدر الله ﷻ كما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : (إن الدعاء والبلاء ليلتقيان بين السماء والأرض) (٤) قيل يا رسول الله أرأيت أدوية نتداوى بها ورقى نسترقى بها وتقى نتقيها هل ترد من قدر الله شيئاً؟ فقال صلى الله عليه وسلم : (هن من قدر الله) (٥)

رابعاً : الأجل :

١ - شعب الإيمان، ج٧/ص٤٨٨، رقم الحديث : ١١٠٨٥ ، باب: القضاء والقدر ج١/ص٢٠٨ ، كذلك ينظر الدر المنثور، تأليف: عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، دار الفكر - بيروت - ١٩٩٣ ج٤/ص٦٦٢

٢ - المستدرک علی الصحیحین ، رقم : ١٨١٤ ، هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ج١/ص٦٧٠

٣ - ينظر كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية ٨/٢ ص ٤٥

٤ - لم أجده بهذا اللفظ إنما وجدته بلفظ : (ولا يرد القدر إلا الدعاء) ، ينظر تخريجه في الحديث السابق.

٥ - المستدرک علی الصحیحین ، كتاب : الطب ، رقم : ٧٤٣١ ، ج٤/ص٢٢١ ، هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقد رواه يونس بن يزيد وعمر بن الحارث بإسناد آخر وهو المحفوظ

بعض العلماء، حيث أننا نرى اتهامات شديدة اللهجة بينهم وصلت إلى حد التكفير والتسخيف والجهل .

وأعتقد أن الفرق القائم بين المعتزلة وسائر العلماء انه فرق بسيط نسبي ، فالمعتزلة حينما قالوا بكون الأجلين طبيعياً واخترامياً حسب هذا المفهوم أي ما كان في اللوح وهو خاضع للتبديل والتغيير، أما ما عنده في أم الكتاب فلا يتغير ولا يتبدل.

ونجد علماء إجلاء اثبتوا هذه الحقيقة ، فقد نقل العسقلاني عن ابن التين هذا المعنى بقوله : (كأن يقال للملك مثلاً إن عمر فلان مائة سنة مثلاً إن وصل رحمه، وستون إن قطعها وفي علم الله انه يصل أو يقطع ، فالذي في علم الله لا يتقدم ولا يتأخر ، والذي في علم الملك وهو اللوح المحفوظ هو الذي يمكن فيه الزيادة والنقصان، واليه الإشارة بقوله ﷻ $چ ك و و و و و$)^(١).

وكل تركيزهم في دحر رأي الخصم وهو : أن الله ﷻ يعلم كل شيء فلا يجعل محط علمه بالشروط .

بينما نرى بعض العلماء ممن يوصف بالوسطية يتكلمون بلطف ويعرضون آراءهم ولا يسفهون آراء المقابل بل يردونهم بلطف وأدب ، يقول الشيخ عبد الكريم المدرس^(٢) : [وجمهور المعتزلة أن الأجل واحد كأهل السنة ألا أنهم قالوا بقطع العوارض الواردة للأجل وان المقتول لو لم يقتل لعاش إلى أمد هو أجله الذي قرر لموته بتاتا . وأما الكعبي من المعتزلة والفلاسفة فعلى أن للشخص أجلين ، فالمقتول ميت بأجله الاخترامي .

^١ - فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة - بيروت، (٤١٦ / ١٠)

وكذلك جاء في تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، نقلاً عن الطيبي تأليف: محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا، دار الكتب العلمية - بيروت (٦ / ٢٩٠) .

^٢ - الشيخ عبد الكريم محمد المدرس ولد في قرية بياره شمال العراق سنة ١٣٢٣ هـ، له ٤٨ مؤلفاً ، مفتي الديار العراقية بعد وفاة الشيخ نجم الدين الواعظ رحمهم الله جميعاً توفي في بغداد سنة ٢٠٠٥ م .

والحق الحقيق بالقبول الموافق للعقل هو : أن الأجل عبارة عن الوقت الذي علم الله ﷻ انقراض الحياة فيه بأي سبب كان ، وأنه واحد ، وأن لا شيء يقطعه وما قاله جمهور المعتزلة من قطع الأجل الواحد المقرر ، والكعبي والفلاسفة من تعدد الأجل ، فإنما هو شيء فرضي ، وبالنظر إلى ملاحظة ذات الشخص لا علمه ﷻ الذي لا فيه صرف ولا تبديل . هذا والله الهادي إلى سواء السبيل .^(١) .

والأمر ليس مقتصرًا على الأجل بل هو يشمل كل مسالك الحياة من رزق وتعليم وتوفيق وسعادة وشقاوة وغير ذلك .

المطلب الرابع - علاقة الدعاء بالقدر:

قالت أم حبيبة ﷺ اللهم متّعني بزوجي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنك سألت الله لإجال مضرّوبةٍ وأنارٍ موطوءةٍ وأرزاقٍ مفسومةٍ لا يُعجلُ شيئاً منها قبل حله ولا يؤخرُ منها شيئاً بعد حله ولو سألت الله أن يُعافيك من عذابٍ في النارٍ وعذابٍ في القبرٍ لكان خيرًا لك)^(٢)

فهم من هذا أن الرسول ﷺ نهى زوجته أم حبيبة ﷺ عن الدعاء في إطالة العمر ، ووجهها إلى الدعاء للخلاص من العذاب ، عقّب الإمام النووي على الحديث بقوله : [إن الجميع (أي الأجل والعذاب) مفروغ منه ، لكن الدعاء بالنجاة من عذاب القبر والنار ونحوهما عبادة ، وقد أمر الشرع بالعبادات فقل أفلأنتكل على كتابنا وما سبق لنا من القدر ؟ فقال : (اعملوا فكل ميسر لما خلق له) ، وأما الدعاء بطول العمر فليس عبادة.^(٣)

والمفهوم من هذا الحديث أن الأجل والعذاب مكتوبان في العلم الأزلي لا يعترضهما التغيير وكذلك سائر الأمور الحياتية الأخرى ، لكن الدعاء إذا كان المطلوب

١ - الوسيلة في شرح الفضيلة، عبد الكريم محمد المدرس ، (ت ٢٠٠٤م) ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م ، مطبعة الإرشاد - بغداد، (١/٦٧٩).

٢ - صحيح مسلم، باب معنى كل مؤلود يؤلّد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، رقم: ٢٦٦٣، ج ٤/ص ٢٠٥١.

٣ - شرح النووي على صحيح مسلم (١٦ / ٢١٤) .

أخروياً أصبح عبادة يؤجر صاحبها عليها ، أما إذا كان لشهوة دنيوية فليس بعبادة ولا يؤجر صاحبها عليها . لكن رأيت إن دعا العبد بإطالة العمر للاستكثار من الخير ويقصد بذلك اتباع قول النبي ﷺ (خيركم من طال عمره وحسن عمله)^(١) أفلا يكون هذا الدعاء عبادة ؟ وكان النبي ﷺ كثيراً ما يدعو ويقول : (وقني شرما قضيت .) ثم أمرنا رسول الله ﷺ بالعمل والاجتهاد ولا نتكل على المكتوب في علم الله ﷻ .

وكذلك نرى أحاديث وردت عن النبي ﷺ في الترغيب والترهيب تتحدث في إمداد وتقصير الأعمار وهي بالفعل مسألة مهمة في بناء المجتمع، وهذا لم يكن مقتصراً على ديننا فحسب بل هو منهج الأديان من قبلنا فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (مكتوب في التوراة من سره أن تطول حياته ويزاد في رزقه فليصل رحمه.)^(٢) بل إن الإسلام قائم على المصالح، فلو نفينا هذه الأحاديث وأولناها على غير هذا المعنى ، قد لا يأخذها المسلم بعين الاعتبار ، بينما إن قلنا له : الصدقة تطيل العمر وصلة الرحم تمد به ، وفعل الخير يقي مصارع السوء، نراه يقدم على ذلك، فيصل رحمه، ويكثر من الصدقة وأعمال البر، وإنما يفعل ذلك بمقتضى نصوص صحيحة ثابتة، وهكذا ينصلح المجتمع ويتعاطف بعضه على بعض .

ويضل في النفس منه شيء، فهو من مسائل الغيب يصعب البت بها برأي واحد، وإلا فأى تفسير نعطيه للفطرة الملحة على الإنسان للنفور من أسباب الموت، وأنا نرى أن من أرسل إليه تهديد بالقتل (وقد يكون من العلماء) نراه يترك منزله ويخرج إلى مكان آخر ويتخذ الاحتياطات الوقائية الكثيرة ، بل حدث ذلك لرسول من أولي

١ - كشف الخفاء ، رقم : ١٢٣١ رواه أحمد والترمذي وصححه عن عبدالله بن بسر بلفظ خير الناس من طال عمره وحسن عمله ورواه أحمد والحاكم وصححه والترمذي بهذا اللفظ وزاد عقبه وشر الناس من طال عمره وساء فعله ج ١/ص ٤٦١

٢ - المستدرك على الصحيحين كتاب البر والصلة، رقم : ٧٢٧٩، قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ج ٤/ص ١٧٧

كانا بالنسبة إلى ما في أيدي الملائكة ونحوه فلا فرق بين السعادة والشقاوة والرزق والأجل وبين غيرها في أن كلاً يقبل المحو والإثبات، وإن كانا بالنسبة إلى ما في العلم فلا فرق أيضاً بين تلك الأمور وبين غيرها في أن كلاً لا يقبل ذلك لأن العلم إنما تعلق بها على ما هي عليه في نفس الأمر وإلا لكان جهلاً^(١)

وأما بخصوص النقطة الأولى فسنأخذ بعض آراء العلماء في هذا المجال.

لم يرجح الرازي^(٢) بين الرأيين بعد إذ أوردهما حيث قال : (أُمُّ الْكِتَابِ) المراد أصل الكتاب والعرب تسمي كل ما يجري مجرى الأصل للشيء أماً له وأم الكتاب هو الذي يكون أصلاً لجميع الكتب وفيه قولان :

القول الأول : أن (أم الكتاب) هو اللوح المحفوظ، وجميع حوادث العالم العلوي والعالم السفلي مثبت فيه، وذكر حديثاً عن النبي ﷺ أنه قال: (كان الله ولا شيء معه ثم خلق اللوح وأثبت فيه أحوال جميع الخلق إلى قيام الساعة)^(٣)

والقول الثاني : إن أم الكتاب هو علم الله تعالى فإنه تعالى عالم بجميع المعلومات من الموجودات والمعدومات وإن تغيرت إلا أن علم الله تعالى بها باق منزه عن التغير فالمراد بأم الكتاب هو ذلك والله أعلم.^(٤)

وقال البيضاوي: [أم الكتاب هو اللوح المحفوظ] ^(٥)

ونقل العسقلاني عن قتادة : أنه أصل الكتاب^(٦)

والذي أرجحه بناء على عموم الأدلة أن (أم الكتاب) هو العلم الأزلي وليس اللوح المحفوظ خصوصاً وأن الحديث الذي أورده الرازي لم يكن مرفوعاً بل هو قول

تقريب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: محمد عوامة ، دار الرشيد - سوريا - ١٤٠٦ - ١٩٨٦، الطبعة: الأولى، ج ١: ص ٥٩٠

١ - روح المعاني ج ١٣/ص ١٧٠

٢ - ينظر التفسير الكبير ج ١٩/ص ٥٣

٣ - بحثت في كتب الحديث فلم أجده

٤ - ينظر التفسير الكبير ج ١٩/ص ٥٣

٥ - تفسير البيضاوي ج ٣/ص ٣٣٤

٦ - فتح الباري ج ٨/ص ٥٦٩

للإمام علي عليه السلام ولم نقف على صحته^(١) ، لذا فإن المحو يكون في اللوح المحفوظ ولا يكون في العلم الأزلي فكأنه قيل يمحو ما يشاء محوه في اللوح المحفوظ ويثبت ما يشاء إثباته مما سطر في (أم الكتاب) وما هو ثابت عنده في العلم الأزلي الذي لا يطرأ عليه التغيير، وأن التغيير في المعلوم لا في العلم، والله أعلم .

أما الهيكلية العامة لما يتحدد من المقدرات فقد أشار إليها العلماء في تفسير قوله عَلَيْكُمْ ذُنُوبٌ ثَابِتَةٌ تَذُوقُهَا بِقَوْلِهِمْ:

قال الطبري يقضى الله سُبْحَانَهُ في ليلة القدر أمر السنة كلها من يموت ومن يولد ومن يعز ومن يذل وسائر أمور السنة^(٢)

وفصل ابن كثير الأمر أكثر فقال وقوله ذُنُوبٌ ثَابِتَةٌ تَذُوقُهَا أي في ليلة القدر يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة أمر السنة وما يكون فيها من الآجال والأرزاق وما يكون فيها إلى آخرها وهكذا روي عن ابن عمر ومجاهد وأبي مالك والضحاك وغير واحد من السلف^(٣)

وذكر أبو الثناء الألوسي الآلية العامة التي تمر بها الأقدار وقال إنها تمر في ثلاثة مراتب :

الأولى : نفس تقدير الأمور أي تعيين مقاديرها وأوقاتها وذلك في الأزل.

الثانية : إظهار تلك المقادير للملائكة عليهم السلام بأن تكتب في اللوح المحفوظ وذلك في ليلة النصف من شعبان .

الثالثة : إثبات المقادير في نسخ وتسليمها إلى أربابها من المدبرين فتدفع نسخة الأرزاق والنباتات والأمطار إلى ميكائيل عليه السلام ونسخة الحروب والرياح والجنود

^١ - كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علي بن حسام الدين المتقي الهندي، الناشر : مؤسسة الرسالة - بيروت : ١٩٨٩ م - (٦ / ٢٣٨)

^٢ - سورة الدخان الآية : ٤

^٣ - ينظر الطبري ج ٢٥ / ص ١٠٨

^٤ - ينظر تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ج ٤ / ص ١٣٨

والزلازل والصواعق والخسف إلى جبريل عليه السلام ونسخة الأعمال إلى إسرائيل عليه السلام ونسخة المصائب إلى ملك الموت وذلك في ليلة القدر^(١)

المطلب السادس - هل يحصل التغيير في الأزل ؟

يرى بعض العلماء أنه ما من شيء إلا ويمكن تغييره وتبديله حتى القضاء الأزلي واستدلوا لذلك بأمر منها^(٢) :

١ . أنه قد صح من دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم في القنوت (وقتي شر ما قضيت)^(٣) وفيه طلب الحفظ من شر القضاء الأولي ولو لم يمكن تغييره ما صح طلب الحفظ منه .

٢ . ومنها ما صح في حديث التراويح من عذره صلى الله عليه وسلم عن الخروج إليها وقد اجتمع الناس ينتظرونه لمزيد رغبتهم فيها بقوله خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها فانه لا معنى لهذه الخشية لو كان القضاء الأزلي لا يقبل التغيير فانه إن كان قد سبق القضاء بأنها ستفرض فلا بد أن تفرض وإن سبق القضاء بأنها لا تفرض فمحال أن تفرض على ذلك الفرض على أنه قد جاء في حديث فرض الصلاة ليلة المعراج بعد ما هو ظاهر في سبق القضاء بأنها خمس صلوات مفروضة لا غير فما معنى الخشية بعد العلم بذلك لولا العلم بإمكان التغيير والتبديل .

٣ . ومنها ما صح أنه صلى الله عليه وسلم كان يضطرب حاله الشريف ليلة الهواء الشديد حتى أنه لا ينام وكان يقول في ذلك أخشى أن تقوم الساعة فانه لا معنى لهذه الخشية أيضا مع إخبار الله تعالى أن بين يديها ما لم يوجد إذ ذاك

١ - روح المعاني ج ٣٠ / ص ١٩٢

٢ - ينظر روح المعاني ج ١٣ / ص ١٧١

٣ - سنن الترمذي ، رقم الحديث ٤٦٤ ، ٣٢٩/٢ ، مسند أحمد ١/ ١٩٩ ، رقم الحديث ١٧١٨ ، المستدرک على الصحيحين هذا حديث صحيح على شرط الشيخين إلا أن محمد بن جعفر بن أبي كثير قد خالف إسماعيل بن إبراهيم بن عتبة في إسناده ، ج ٣ : ص ١٨٨

الأصبع وتفرد به عمرو عن الأصبع^(١) وإن صح الحديث، قيل المراد أن الصدقة وغيرها من الطاعات تزيد فيما هو المقصود الأهم من العمر وهو إكتساب الخير والكمال والبركة التي بها تستكمل النفوس الإنسانية فتفوز بالسعادة الأبدية، وحكم الدعاء حكم سائر الأسباب من الأكل والشرب والتحفظ من شدة الحر والبرد، ففائدته كفائدتها، وقيل هو لمجرد إظهار الإحتياج والعبودية^(٢). وأن الذي أورده الإمام الألوسي لا يعني العلم الأزلي بل يعني القضاء في اللوح المحفوظ، كما أنه قال ذكر بعض العلماء ولم يعين أحداً.

المطلب السابع : شبهتان والرد عليهما

١ . ذكر جمهور الفلاسفة أن التغيير في القضاء يلزم منه التغيير في ذاته تعالى لما أنه ينجر إلى تغير العلم، وهو يوجب التغيير في ذاته تعالى من صفة إلى أخرى، أو يلزم من ذلك الجهل، وهذا مأخوذ من قولهم في نفي علم الله تعالى بالجزئيات المتغيرة، فإنهم قالوا إنه تعالى إذا علم مثلاً أن زيدا في الدار الآن، ثم خرج عنها؛ فإما أن يزول ذلك العلم ولا يعلم سبحانه أنه في الدار، أو يبقى ذلك العلم بحاله، والأول يوجب التغيير في ذاته سبحانه، والثاني يوجب الجهل، وكلاهما نقص يجب تنزيه الله تعالى عنه ورُدَّ بأن : [منع لزوم التغيير فيه ﷻ بل في الإضافات وقد أجاب عنه، بأن العلم بأنه وجد وسيوجد واحد، فإن من علم أن زيداً سيدخل البلد غداً فعند حصول الغد يعلم بهذا العلم أنه دخل البلد الآن، وإنما يحتاج أحدنا إلى علم آخر لطريان الغفلة عن الأول، والباري تعالى يمتنع عليه الغفلة، فكان علمه بأنه وجد عين علمه بأنه سيوجد.]^(٣)

١ - المعجم الأوسط ج ١/ص ٢٨٩

٢ - ينظر شرح النووي على صحيح مسلم صحيح، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، : دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٣٩٢، الطبعة: الطبعة الثانية ج ١٦/ص ٢١٣، كذلك روح المعاني ج ٢٢/ص ١٧٨

٣ - المواقف ج ٣/ص ٩٨

بذلك نقول أنه يجوز أن يتغير ما في علم الله تعالى ولا يلزم من ذلك التغير سوى التغير في التعلقات وهو غير ضار^(١).

ولا يعني ذلك تغيير ما في علم الله من الأقدار وإنما التغيير الحاصل في الحوادث.

٢. بناءً على هذا القول لا يبقى وثوق بشيء من الأخبار الغيبية كالحشر والنشر وكذا لا يبقى وثوق بالأخبار بأنه صلى الله تعالى عليه وسلم خاتم النبيين لجواز أن يكون الله تعالى قد علم ذلك حين أخبر ثم تعلق علمه بخلافه لكنه سبحانه لم يخبر وغيرها من الأخبار بالغة الأهمية !

والجواب أنه سبحانه يمحو ما يشاء ويثبت ويخصص ذلك بالأحكام الفرعية، ويراد بأم الكتاب الأحكام الأصلية فإنها مما لا تقبل النسخ وهي أصل لكل كتاب^(٢)

الخاتمة والنتائج

نسأل الله ﷻ قد وفقنا لتبيان مسألة الوسطية في القضاء والقدر، ويمكننا أن نصل من خلال هذا التطواف إلى النتائج الآتية :

١. كان القضاء في الفكر الديني اليهودي متذبذباً بين الجبر والاختيار، والمتطلع إلى أسفارهم يجد أنهم ينكرون علم الله بالغيب، وإن ذلك يؤدي إلى القول بأن الله لا يعلم ما يقع من الخلق من الأفعال.

٢. أما المسيحية الشرقية؛ فهم يقولون بحرية الإرادة الإنسانية ويميزوا بين الأفعال الاختيارية والأفعال الاضطرارية الجبرية، وأن الإنسان يفعل بإرادته ولا شيء يجبره على الفعل وهم أقرب إلى الصواب من اليهودية.

١ - ينظر روح المعاني ج ١٣/ص ١٧٢

٢ - ينظر روح المعاني ج ١٣/ص ١٧٢

٣. القضاء عند الفلاسفة عبارة عن علمه بما ينبغي أن يكون عليه الوجود حتى يكون على أحسن النظام وأكمل الانتظام، وهو المسمى عندهم بالعناية الأزلية التي هي مبدأ لفيضان الموجودات من حيث جملتها على أحسن الوجوه وأكملها، والقدر عبارة عن خروجها إلى الوجود العيني بأسبابها على الوجه الذي تقرر في القضاء.

٤. أثبت المشركون من العرب قبل الإسلام المشيئة الآلهية لكنهم احتجوا بهذه المشيئة على شركهم، لذا كانت عقيدتهم مشوشة . وكان العرب في الجاهلية يعرفون القدر ولا ينكرونه، وهذا نجده ثابتاً في أشعارهم.

٥. والمعتزلة أنكروا القضاء والقدر في الأفعال الاختيارية الصادرة عن العباد، وأثبتوا علمه تعالى بهذه الأفعال ولا يسندون وجودها إلى ذلك العلم بل إلى اختيار العباد وقدرتهم. ، وقالوا إن القدر خيره وشره من العبد، وأن أمر الله وإرادته متلازمان، وقالوا كذلك إن جميع الأفعال الاختيارية من جميع الحيوانات لا تعلق لها بخلق الله تعالى.

٦. والجبرية تنفي القدرة الإنسانية والاستطاعة، فليس للإنسان قدرة ولا إرادة ولا اختيار، وأن الله ﷻ يخلقها فيه كما يخلقها في الحيوان، وهي كلها اضطرارية كحركات المرتعش، وحركات الأشجار، ونسبتها إلى الإنسان مجازاً، ولا حرية له في فعله وهو كالريشة في مهب الريح.

٧. والقدرية ترى أن العبد مستقل بعمله في الإرادة والقدرة وليس لمشيئة الله وقدرته أثر في ذلك، وهم خالقون لأفعالهم، وأن الله لا يعلم القدر قبل وقوعه.

٨. وسائر علماء أهل البيت متفقون على إثبات القدر، والنقل بذلك عنهم ظاهر معروف، وقدماء الشيعة كانوا متفقين على إثبات القدر والصفات، وإنما شاع فيهم رد القدر من حين اتصلوا بالمعتزلة في دولة بني بويه.

٩. قضاء الله ﷻ عند الأشاعرة هو إرادته الأزلية المتعلقة بالأشياء على ما هي عليه فيما لا يزال، وقدره : هو إيجادها على قدر مخصوص وتقدير معين في نواتها وأحوالها، وهو طبق ما سبق به العلم القديم .

١٠. وقالت السلفية : إن مما اتفق عليه سلف الأمة و أئمتها مع إيمانهم بالقضاء والقدر، وأن الله خالق كل شيء، و أنه ما شاء كان و ما لم يشأ لم يكن، وأنه يضل من يشاء و يهدي من يشاء، وأن العباد لهم مشيئة و قدرة يفعلون بمشيئتهم و قدرتهم ما أقرهم الله عليه

١١. والقدر عند الماتريدية هو تحديده من الله تعالى أزلاً لكل مخلوق بحده الذي يوجد به من حسن وقبح ونفع وضر، وما يحويه من زمان ومكان، وما يترتب عليه من طاعة وعصيان وثواب وعقاب وغفران. أي تعلق القدرة والإرادة بالحد الذي يوجد، والقضاء تنفيذ ذلك القدر بجميع صفاته.

١٢. أن الأقدار ينسخ الله ما يشاء منها ويثبت منها ما يشاء، وقد أخذ كثير من العلماء بهذا الرأي وقالوا في إمكان تغيير القضاء والقدر، وأن التغيير يحصل في المعلوم ولا يحصل في العلم.

١٣. أن المقتول ميت بأجله والله ﷻ يعلم أن فلان يموت بمرض وهذا يموت بقتل أو هدم أو حرق أو بالكهرباء، والله ﷻ هو خالق الموت والحياة وأسبابهما، والفرق بين المعتزلة وأهل السنة لفظي إلا ما كان من الكعبي.

١٤ . لا يمكن تغيير ما في العلم الأزلي، ويستحيل تغيير شيء قدره الله تعالى وعلمه في الأزل، لأن ما في العلم الأزلي المتعلق بالأشياء على ما هي عليه في نفس الأمر لا يتغير، ويجب أن يقع كما علم لئلا ينقلب العلم جهلاً، وما يتبادر منه خلاف ذلك إذا صح فهو مؤول. أما ما وجد في اللوح المحفوظ ففيه الخلاف، والراجح أنه عرضة للتغيير، لكن النتيجة النهائية تطابق ما في العلم الأزلي.

ولا شك بأن الفهم الصحيح لهذا المعتقد تترتب عليه فوائد عظيمة يعود نفعها على الأفراد والمجتمعات في الدنيا قبل الآخرة، ومن تلك الثمرات ما يأتي :

١ . الإيمان بالقدر هو واحد من عناصر الإيمان، وبالتالي يؤدي إلى التوحيد الخالص

٢ . ونتيجة هذا الاعتقاد يؤدي إلى الإقدام والشجاعة، فالذي يؤمن بالقدر يعلم أنه لن يموت إلا بأجله ولا يناله إلا ما كتبه الله له، فيخوض غمار الحياة ويقدم في ساحات الوغى غير هيب ولا مبال بما يناله من أذى ومصائب في سبيل الله ﷻ ، كما قال الإمام علي

العلية : أي يومي من الموت أفر يوم لا

يقدر أو يوم قدر يوم ما قدر لا أربه

وإذا قدر لا ينجي الحذر^(١)

١ - ديوان الإمام علي، جمعه وطبعه نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية، بيروت ٧٩ - ٨٠

هذا ما تيسر من التقدير ، وتقدر من التيسير ، وشاء الله ﷻ أن يخرج هذا البحث إلى حيز الوجود ، فما كان فيه من صحيح وصواب فهو خير وفقنا الله إليه ، وما كان من خطأ فهو من غير قصدنا ، وأسأل الله ﷻ أن ينفع به قارئاً ينشد العدل والوسط في مفهوم القضاء والقدر وأن يكون لبنة في بناء المكتبة الإسلامية، وأن يكون خالصاً لوجه الله الكريم، وأن يتجاوز عنا ويسامحنا ، وشعارنا في عملنا هو: (رحم الله امرأً أهدى إليّ عيوبي) وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية لإبانة عن أصول الديانة، : علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري أبو الحسن (ت ٣٢٤هـ) ، تحقيق: د. فوقية حسين محمود ، دار النشر: دار الأنصار - القاهرة - ١٣٩٧، الطبعة: الأولى،

٢. إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، (ت ٥٠٥ هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر. بيروت
٣. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار النشر: دار الجيل - بيروت - ١٢ ١٤، الطبعة: الأولى،
٤. الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د. علي عبد الواحد وافي، دار النهضة. مصر. ١٣٩٢ هـ. ١٩٧٢ م
٥. الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د. علي عبد الواحد وافي، دار النهضة. مصر. ١٣٩٢ هـ. ١٩٧٢ م. سفر التكوين، إصحاح .
٦. الإنصاف في التنبيه على المعاني والأسباب التي أوجبت الاختلاف، عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٤٠٣، الطبعة: الثانية
٧. أنواع البحوث وأقسامها أصول البحث وتحقيق النصوص في العلوم الشرعية للأستاذ الدكتور محي هلال السرحان ص ٨ بغداد سنة ١٤٢١ هـ. ٢٠٠٠ م .
٨. أوائل المقالات في المذاهب المختارة، الشيخ المفيد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان البغدادي العبكري (١٤١٣ هـ. ١٠٢٣ م) مطبعة تبريز، ١٣٧١ هـ
٩. إثبات الحق على الخلق في رد الخلافات يثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، محمد بن نصر

المرتضى اليماني (ابن الوزير)، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت

- ١٩٨٧م، الطبعة: الثانية

١٠. البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء (ت

٧٧٤ هـ) ، دار النشر: مكتبة المعارف - بيروت

١١. تاريخ أصبهان تاريخ أصبهان، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن مهران

المهراني الأصبهاني، (ت ٤٣٠ هـ) ، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار

النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م، الطبعة:

الأولى

١٢. التحفة المدنية في العقيدة السلفية، الشيخ العالم العلامة حمد بن

ناصر بن عثمان آل معمر، تحقيق: عبد السلام بن برجس بن ناصر آل

عبد الكريم، دار النشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع - الرياض -

١٤١٣ هـ، الطبعة: الأولى

١٣. التعاريف لتوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف

المنائي، (ت ١٠٣١ هـ) ، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار النشر:

دار الفكر المعاصر ، دار الفكر - بيروت ، دمشق - ١٤١٠، الطبعة:

الأولى

١٤. التعريفات ،: علي بن محمد بن علي الجرجاني، (ت ٨١٦ هـ) ،

تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار النشر: دار الكتاب العربي - بيروت - ٥٠

١٤، الطبعة: الأولى

١٥. تفسير القرآن العظيم، تأليف: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو

الفداء، (ت ٧٧٤ هـ) دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٤٠١

١٦. تقريب التهذيب، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل
العسقلاني الشافعي، تحقيق: محمد عوامة ، دار النشر: دار الرشيد -
سوريا - ١٤٠٦ - ١٩٨٦، الطبعة: الأولى
١٧. تهذيب الأسماء واللغات، :، محي الدين بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)
، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار النشر: دار الفكر - بيروت -
١٩٩٦ ، الطبعة: الأولى
١٨. تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (٣٧٠هـ) ،
تحقيق: محمد عوض مرعب ، دار النشر: دار إحياء التراث العربي -
بيروت - ٢٠٠١م، الطبعة: الأولى
١٩. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، تأليف: سليمان بن عبد
الله بن محمد بن عبد الوهاب، دار النشر: مكتبة الرياض الحديثة -
الرياض
٢٠. جامع البيان عن تأويل آي القرآن . ، : الشيخ محمد بن جرير بن
يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، توفي ٣١٠ هـ . ، دار الفكر للنشر .
بيروت سنة : ١٤٠٥ هـ
٢١. الجامع لأحكام القرآن، :، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري
القرطبي (ت ٦٧١هـ) ، دار النشر: دار الشعب - القاهرة
٢٢. الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي، الدكتور محمد البهي، القاهرة ،
سنة الطبع . ١٩٦٢
٢٣. جواهر الكلام في عقائد الإسلام ، الشيخ عبد الكريم المدرس، (ت
٢٠٠٤م) ، دار الحرية للنشر ، بغداد ، سنة الطبع : ١٩٩٣م . ١٤١٤ هـ

٢٤. الجواهر المضية في طبقات الحنفية، عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي أبو محمد، دار النشر: مير محمد كتب خانه - كراتشي
٢٥. حاشية إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين لشرح قرة العين بمهمات الدين، ،: أبي بكر ابن السيد محمد شطا الدمياطي، دار النشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت
٢٦. حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، ،: علي الصعيدي العدوي المالكي،، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعيج، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٤١٢
٢٧. الدر المنثور، تأليف: عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٩٩٣
٢٨. درء تعارض العقل والنقل، ،: تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، (ت ٧٢٨هـ) ، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٧ ١٤ هـ - ١٩٩٧م.
٢٩. دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، تأليف: القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، تحقيق: عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص ، دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت - ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى
٣٠. ديوان الإمام الشافعي، جمعه وعلق عليه: محمد عفيف الزغبى، دار المطبوعات الحديثة، الطبعة الثانية

٣١. ديوان الإمام علي، جمعه وطبعه نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية،

بيروت

٣٢. ديوان عنتره

٣٣. ديوان ليبيد بن ربيعة العامري

٣٤. الرد على القائلين بوحدة الوجود، : العلامة علي بن سلطان القاري،

تحقيق: علي رضا بن عبد الله بن علي رضا ، دار النشر: دار المأمون

للتراث - دمشق - ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، الطبعة: الأولى

٣٥. رسالة في القضاء والقدر لقضاء والقدر، : أبو بكر أحمد بن الحسين

بن علي بن موسى البيهقي، (ت ٤٥٨ هـ) ، تحقيق: محمد بن عبد الله آل

عامر ، دار النشر: مكتبة العبيكان - الرياض / السعودية - ١٤٢١ هـ -

٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى

٣٦. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تأليف: العلامة

أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، (ت ١٢٧٠ هـ)

دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت

٣٧. زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي،

(ت ٥٧٩ هـ) دار النشر: المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٤ ،

الطبعة: الثالثة

٣٨. سنن أبي داود، : سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي،

تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار النشر: دار الفكر

٣٩. سنن البيهقي الكبرى ، احمد الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار النشر : مكتبة دار الباز . مكة المكرمة ، سنة النشر : ١٤١٤ هـ . ١٩٩٤ م .
٤٠. سنن الترمذي ، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، (ت ٢٧٩ هـ) -، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - ، ج ٤ / ص ٨٥
٤١. شرح العقيدة الطحاوية، : ابن أبي العز الحنفي، دار النشر: المكتب الإسلامي - بيروت - ١٣٩١، الطبعة: الرابعة
٤٢. شرح المقاصد في علم الكلام، : سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، (ت ٧٩٣ هـ) دار النشر: دار المعارف النعمانية - باكستان - ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م، الطبعة: الأولى
٤٣. شعب الإيمان،: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغل ، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٠، الطبعة: الأولى
٤٤. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، : أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، (ت ٧٥١ هـ) ، تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي ، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٣٩٨
٤٥. صحيح ابن حبان ، محمد بن حبان بن احمد أبو حاتم التميمي ألبستي (ت ٣٥٤ هـ) ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة للنشر . بيروت ، سنة النشر : ١٤١٤ هـ . ١٩٩٣ م ، الطبعة الثانية.

٤٦. صحيح البخاري الجامع الصحيح المختصر، : محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (ت ٢٥٦ هـ) ، تحقيق د. مصطفى ديب البجاج ، دار ابن كثير ، اليمامة - بيروت - ١٤٠٧ - ١٩٨٧ ، الطبعة: الثالثة،:

٤٧. صحيح مسلم بشرح النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٣٩٢ ، الطبعة: الطبعة الثانية

٤٨. صحيح مسلم،: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ) ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقيج ، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت

٤٩. طبقات المفسرين للداودي ، أحمد بن محمد الأدنه وي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزيج ، دار النشر: مكتبة العلوم والحكم - السعودية - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، الطبعة: الأولى

٥٠. طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر ، دار النشر: دار المدني - جدة

٥١. العقيدة الواسطية ، أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني ، (ت ٧٢٨ هـ) ، تحقيق : مُحَمَّد بن عبد العزیز بن مانع ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث والإفتاء ، الرياض ، ط ٢ ، ١٤١٢ هـ

٥٢. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، : بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت

٥٣. عيون الأنبياء في طبقات الأطباء، : موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي، تحقيق: الدكتور نزار رضا ، دار النشر: دار مكتبة الحياة - بيروت
٥٤. الفصل في الملل والأهواء والنحل، : علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد(ت ٥٤٨هـ)، دار النشر: مكتبة الخانجي - القاهرة
٥٥. الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، : أحمد بن غنيم بن سالم النفراوي المالكي، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٥ ١٤
٥٦. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، : حمد بن أحمد أبو عبدالله الذهبي الدمشقي(ت ٧٤٨هـ) ، تحقيق: محمد عوامة ، دار النشر: دار القبة للثقافة الإسلامية ، مؤسسة علو - جدة - ١٣ ١٤ -
١٩٩٢، الطبعة: الأولى
٥٧. كتاب أصول الدين، جمال الدين أحمد بن محمد بن محمود بن سعيد، (ت : ٥٩٣هـ) ، تحقيق : عمر وفاق الداعوق ، دار النشر : دار البشائر الإسلامية، مدينة النشر : بيروت، سنة النشر : ١٩٩٨، رقم الطبعة : الأولى
٥٨. كتاب الكليات كليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري ، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩ هـ -
١٩٩٨م.

٥٩. كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، أحمد عبد الحلیم بن تيمية الحراني أبو العباس (ت ٧٢٨ هـ) ، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي ، دار النشر: مكتبة ابن تيمية، الطبعة: الثانية
٦٠. الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، : أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي
٦١. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تأليف: مصطفى بن عبدالله القسطنطيني الرومي الحنفي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٣ - ١٩٩٢
٦٢. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علي بن حسام الدين المنقي الهندي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت : ١٩٨٩ م
٦٣. لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري (ت ٧١١هـ) ، دار النشر : صادر بيروت .
٦٤. لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢هـ) ، تحقيق: دائرة المعارف النظامية - الهند ، دار النشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، الطبعة: الثالثة
٦٥. المعجم الوسيط (٢+١)، تأليف: إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية ، دار النشر: دار الدعوة

٦٦. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني، تحقيق: عمر الطباع ، دار النشر: دار القلم - بيروت - ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م
٦٧. مختار الصحاح ، :محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، (ت: ٧٢١ هـ) ، تحقيق :محمود خاطر. طبعة جديدة، دار النشر :مكتبة لبنان ناشرون . بيروت ، سنة الطبع : ١٥ ١٤ هـ . ١٩٩٥ م ،
٦٨. المذاهب الإسلامية ، محمد أحمد أبو زهرة ، ملتزم النشر : مكتبة الآداب ومطبعتها، المطبعة النموذجية
٦٩. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، : علي بن سلطان محمد القاري، تحقيق: جمال عيتاني ، دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، الطبعة: الأولى
٧٠. المستدرک علی الصحیحین ،: محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ) ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م، الطبعة: الأولى
٧١. مسند الإمام أحمد بن حنبل، تأليف: أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، دار النشر: مؤسسة قرطبة - مصر
٧٢. مصنف ابن أبي شيبة مصنف في الأحاديث والآثار، تأليف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق: كمال يوسف الحوت ، دار النشر: مكتبة الرشد - الرياض - ١٤٠٩ هـ، الطبعة: الأولى

٧٣. مصنف في الأحاديث والآثار، تأليف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق: كمال يوسف الحوت ، دار النشر: مكتبة الرشد - الرياض - ١٤٠٩، الطبعة: الأولى
٧٤. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد حكيمي (ت ١٣٧٧ هـ) ، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر ، دار النشر: دار ابن القيم - الدمام - ١٤١٠ - ١٩٩٠، الطبعة: الأولى
٧٥. المعارف، تأليف: ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم ، تحقيق: دكتور ثروت عكاشة ، دار النشر: دار المعارف - القاهرة
٧٦. المعجم الأوسط، تأليف: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، دار النشر: دار الحرمين - القاهرة - ١٤١٥
٧٧. معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس أبي الحسين بن فارس (٣٩٥ هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية
٧٨. مفاتيح الغيب،: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي (ت ٦٠٦ هـ)، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى
٧٩. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد ، تحقيق: محمد سيد كيلاني ، دار النشر: دار المعرفة - لبنان
٨٠. مفصل العرب واليهود في التاريخ، الدكتور أحمد سوسة، الطبعة الخامسة، بغداد . ١٩٨١

٨١. المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، : محمد بن محمد الغزالي أبو حامد (ت ٥٠٥ هـ) ، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي ، دار النشر: الجفان والجابي - قبرص - ١٤٠٧ - ١٩٨٧ ، الطبعة: الأولى
٨٢. مناهج الأدلة في عقائد الملة . ابن رشد، تحقيق : د. محمد قاسم ، الطبعة الثانية.
٨٣. منهاج السنة النبوية منهاج السنة النبوية، أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني أبو العباس (ت ٧٢٨ هـ)، تحقيق: د. محمد رشاد سالم ، دار النشر: مؤسسة قرطبة - ١٤٠٦ ، الطبعة: الأولى
٨٤. المواقف، : عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي (ت ٧٥٦ هـ) ، دار النشر: دار الجيل - لبنان - بيروت - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م ، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد الرحمن عميرة
٨٥. الوسيلة في شرح الفضيلة، عبد الكريم محمد المدرس ، (ت ٢٠٠٤ م) ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٢ هـ . ١٩٧٢ م ، مطبعة الإرشاد . بغداد.